



سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثامن

والعمد الثمانية التي في قاعة العمد قد زُين كل منها بمنظر فريد بنفس التركيب الذي مثلت به المناظر التي على الجدران. وهنا نلاحظ كذلك أن «حريحور»، قد أخذ لنفسه الوظائف الدينية التي كانت في العادة قاصرة على الفرعون؛ ولذلك فليس من الصواب أن نقول هنا: إننا نرى على هذه المناظر كما جاء في بعض الكتب أن «رعسيس» يضحى أمام ثالث «طيبة»، بل الواقع أن أربعة من ثمانية المناظر — وهي التي على العمودين الأول والثالث من الصف الجنوبي، وعلى العمودين الثالث والرابع من الصف الشمالي — يرى عليها الكاهن الأعظم «حريحور»، لا الملك يقدم لإله أو أكثر من ثالث «طيبة» قرباناً من البخور والأزهار. فضلاً عن ذلك نجد في أسفل اللوحة المنقوشة على أربعة العمد، التي تحمل سقف الممر الأوسط نقشاً قد دونه «حريحور» كأنه إمضاء بأعماله وهو: عمل تحت إدارة من تسلم تعليمات جلالته الأمير والمحبوب العظيم للإله الطيب حامل المروحة على يمين الملك، والكاهن الأول «لامون رع» ملك الآلهة ورئيس طوائف الأجانب «حريحور»، أو نجدها في صورة أخرى هكذا: عمل تحت إدارة من تسلم تعليمات جلالته، الأمير الذي على رأس الأرضين، والكاهن الأكبر «لامون رع» ملك الآلهة، والقائد الأعلى للجيش، ورئيس الطوائف الأجنبية «حريحور» لأجل سيده «خنسو — في طيبة — نفرحتب»، وهكذا نفهم من اللوحات التي على الجدران والتي على العمد أن «حريحور» يلعب دوراً يعادل في أهميته الدور الذي كان يقوم به الملك، ومن ثم نرى أن «حريحور» كان يشارك الفرعون في كل فخاره، على الرغم من أنه كان أحد رعاياه، ولكنه عرف كيف يمكنه أن يصبح صاحب سلطان يضارع سلطان سيده.

والآن ننقل إلى فحص النقوش التي على أساس قاعة العمد، وهذه أكثر إيضاحاً عن موقف «حريحور» بالنسبة للفرعون، إذ إنها تظهر لنا استقلاله عن العرش وقد كان أخذاً في الزيادة، وهذه النقوش عبارة عن تقديرات، وتبتدئ إحداها هكذا: الكاهن الأول «لامون رع» ملك الآلهة، والقائد الأعلى لجنود الجنوب والشمال، ورئيس طوائف الأجانب «حريحور». لقد عمل هذا بمثابة أثره لأجل «خنسو — في طيبة — نفرحتب» مقيماً له من جديد معبداً يشبه أفق السماء، وموسعاً معبده ليكون عملاً أبدياً، ومعظماً أثره أكبر مما كان عليه من قبل. وقد زاد في القربات اليومية، وضاعف ما كان موجوداً من قبل في حين أن تاسوع آلهة «طيبة» كانوا في فرح كما كان البيت العظيم في عيد ... وأخيراً^{١٢}

^{١٢} راجع: Maspero. Ibid. p. 652; Br. A. R. IV § 609

ذكر في الإهداء «لرعمسيس الحادي عشر»، وهذه بقية من الاحترام، ويقصد بها نسبة بناء قاعة العمد له على غرار نسبتها إلى «حريحور». ومع ذلك فإننا نجد إهداءين آخرين يحيطان بالأساس منسوبين «لحريحور» وحسب، بوصفه دائماً الكاهن الأكبر «لأمون» ملك الآلهة،^{١٢} غير أنه أصبح مستقلاً لدرجة أنه أهمل ذكر اسم الملك، وكتب اسمه فقط، وهاك أحد النقشين: «الكاهن الأول «لأمون» ملك الآلهة، قائد جيوش الجنوب والشمال، ورئيس طوائف الأجانب «حريحور»: لقد عمل هذا بمثابة أثره «لخنسو — في طيبة — نفرحتب» مقيماً له من جديد معبداً بمثابة عمل ممتاز وللأبدية، وهو عمل قلب محب». وبهذه الكلمات ينتهي الإهداء دون أن يذكر اسم «رعمسيس الحادي عشر».^{١٤}

وعندما يمر الإنسان من قاعة العمد في ردهة المعبد نشاهد أن موقف «حريحور» الرسمي قد تغير، إذ نجد أن النقوش لا تذكر «رعمسيس الحادي عشر» وحسب، بل يتضح لنا جلياً أن «حريحور» قد اتخذ مكانه على عرش الملك؛ وذلك لأنه هنا قد منح نفسه وصفاً ملكياً رسمياً، وجعل لنفسه لقباً واسماً كل منهما في طغراء يسبقهما للقب: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري» (أو كذلك لقب «الإله الطيب») وقد فصل بينهما على حسب التقاليد التي مر عليها آلاف السنين النعت «ابن رع». ولكنه لأجل ألا يغضب القائمين بالنظام الديني الذي كان سائداً وقتئذ، وليظهر أنه كان يناصره، استعار اسمه الأول من لقب الكهانة الذي كان يحمله وهو «الكاهن الأول لأمون». وهذا ذكرنا بالملك «آي» عندما اتخذ لنفسه لقب «والد الإله» ووضعه في طغراء، وكذلك يذكرنا بأباطرة الرومان في مصر عندما كانوا يتخذون اسماً أولاً لهم لقبهم «أوتوكراتور» (راجع مصر القديمة ج ٥). أما طغراء «حريحور» الثاني فكان يشمل اسمه وحسب، مضافاً إليه عبارة «ابن أمون» وذلك اعترافاً بفضل والده «أمون».^{١٥}

وهذا الانتقال يحدثنا عنه نقش دُونَ على الجدار الشمالي للردهة في الجهة الشرقية من الباب الذي يؤدي إلى قاعة العمد. وهذا المتن مهشم بكل أسف لدرجة كبيرة. ويدل ما تبقى منه على أنه يخلد ذكرى وحي أَوْحَى به الإله «خنسو» وصدَّق عليه الإله «أمون»، وفيه يذكر أنه قد منح أو وعد بمنح الكاهن الأكبر «حريحور» الملك في حين

^{١٢} راجع: De Rouge, Insc. Hierog. Pl. cc IV; Champ Notices Descr. II, 237

^{١٤} راجع: Champ. Notices, Desc. II, 221 etc; L. D. III 243–248; Maspero, Momies Royales p. 653

^{١٥} راجع: Br. A. R. IV, §§ 615; ed. Meyer Gottestaat Und Standewesen in Egypten p. 496

أن «رعمسيس الحادي عشر» كان لا يزال على عرش الملك. وهكذا نجد أن التدخل الإلهي قد حبا مرة أخرى مطامع مدّعٍ للتاج، غير أن المدعي في هذه الحالة كان هو نفس رئيس الكهنة لمعبد الكرنك.

وفي هذا المتن نجد ألقاباً جديدة نُسبت إلى «حريحور» منها مدير مخازن الغلال، وهذا اللقب قد أعطاه حق التصرف في أعظم ثروة مادية في مصر، وكذلك لقب «ابن الملك صاحب كوش» وهذه الوظيفة قد أمدت سلطان هذا الكاهن الأكبر الطموح على بلاد أعالي النيل حتى حدود بلاد «كوش». وهذا النقش يرجع تاريخه إلى السنين الأخيرة من حكم «رعمسيس الحادي عشر»؛ وهو على أية حال قبل السنة السابعة عشرة من سني حكمه؛ وذلك لأننا نعرف كما ذكرنا من قبل أنه في هذه السنة كان «بانحسي» نائباً على بلاد النوبة، وهو الذي وجه إليه الفرعون الخطاب الذي سبق ذكره، وهو المحفوظ الآن في بردية «بمتحف تورين». والواقع أن نقش «حريحور»، الذي نحن بصده الآن لم يبقَ منه فعلاً إلا نهاية تسعة وعشرين سطراً، ومنها يمكننا أن نفهم بصعوبة المقصود من المتن وهي مؤرخة بالسنين الأخيرة من عهد «رعمسيس الحادي عشر». وتحدثنا أن الكاهن الأكبر «حريحور» (السطر ٢، ويلاحظ أن الاسم نفسه لم يحفظ في هذا النقش إلا في السطرين ١٢ و ١٧) قد قام بعمل تقرير مرتين للإله «خنسو»، ولكن لم يبقَ من كلامه في كل من هذين التقريرين إلا النهاية ... إلى «نو» بلدك، أما ما عمله الإله لإجابة خطاب الكاهن الأعظم فقد عبر عنه بالكلمات: «وعلى ذلك تهقر الإله». كما جاء في السطر الرابع، وكذلك بنفس العبارة في السطر الخامس. وفي الجزء التالي لذلك يدور الكلام عن مدة عشرين عاماً منحها الإله «أمون» للكاهن الأكبر: ويعلن الإله «خنسو» هذه المنحة «لحريحور»، وكذلك يعطيه الإذن بأن ينقش هذا الحادث على لوحة ويجعله يقيمها في المعبد. وفي هذا الجزء الأخير من النقش يجيب الإله «خنسو» أربع مرات بالاستحسان على كلام «حريحور» (ونلاحظ ذلك في السطرين ٢٠ و ١٨، وفي السطرين ١٥ و ٢٦ نجد المتن مهشماً) وقد ترجم «برستد» هذا النقش غير أنه لم يرَ فرقاً بين العبارة الدالة على الرفض والعبارة الدالة على الاستحسان؛ ولذلك أخطأ فهم النقش من هذه الناحية (راجع Br. A. R. IV, § 615-616) فترجم عبارة تراجع برأسه أو رفض بالعبارة التالية، وعندئذ هز الإله رأسه (استحساناً). وقد تناول المؤرخ «إدورد مير» هذا المتن مرة أخرى وخطأ ترجمة «برستد»، وترجم التعبير الدال على الرفض بما يأتي: «ورجع الإله خلف نفسه». والترجمة الحرفية لهذه العبارة صحيحة غير أنه لم يرَ المعنى الحقيقي للتعبير، أي لم يرَ أنه عكس معنى العبارة الدالة على الموافقة، وهو: «وهز الإله رأسه بشدة».

وأخيراً تناول هذين التعبيرين الدالين على الرفض والقبول عند إشارة الوحي الأستاذ «شرنى» وبرهن بوساطة متون أخرى على أن التعبير الدال على الرضا يدل عليه بالانحناء إلى الأمام، والتعبير الدال على الرفض عبر عنه بالرجوع إلى الوراء أي التقهقر، وهذا ما يعبر به عن هذين المعنيين في أيامنا حتى الآن (Bull. Inst. Fr. xxx p. 492).
وهاك نص النقش:

(١) ... «رعمسيس الحادي عشر» محبوب «آمون رع» ملك الآلهة، معطي الحياة أبدياً.

«حريحور» أمام الإله «خنسو»: (٢) ... الكاهن الأكبر «لامون» ابن الملك صاحب «كوش» والمشرف على مخازن الغلال (٣) ... وبعد ذلك كرر له الكاهن الأكبر «لامون» ملك الآلهة (٤) ... «طيبة مدينتك»، وعلى ذلك تقهقر الإله (رفض) (٥) ... «لطيبة مدينتك» وعلى ذلك رفض الإله (٦) ... (٧) ... (٨) شرفاً لي وحياة وسعادة وصحة وأشياء جميلة كثيرة في «طيبة مدينتك» (٩) ... التي تعطيها، وستعطيها إياي، وبعد ذلك هز الإله رأسه في مدة سنة، وهي المدة التي أعطيتها إياي والذين في (١١) ... في مدة السنة التي أعطيتها إياي والتي صرفتها لتعطيها إياي خلافاً لـ ... (١٢) ... «حريحور» المنتصر.

تأكيد «آمون»: وقد خرجت المدينة بمثابة رسل له؛ لينجزوا ما قاله «خنسو» (١٣) ... (آمون رع) ملك الآلهة مولياً وجهه نحو الشمال إلى الكرنك. وبعد ذلك وصل عند الـ ... (١٤) ... «آمون رع» الآلهة، الوالد ... (١٥) ... وعند ذلك هز الإله رأسه بعنف (بالقبول) قائلاً: إن مدة عشرين عاماً هي التي سيمنحك إياها «آمون رع» ملك الآلهة (١٦) ... بسبب الأعمال الطيبة التي عملتها للإلهة «موت» والإله «خنسو» وأولادها السابقين (١٧) ...

تسجيل المعجزة: وبعد ذلك كررها له الكاهن الأكبر «لامون» ملك الآلهة «حريحور» قائلاً: يا سيدي الطيب (١٨) ... هل ستسجل هذه المعجزات على الحجر؟ فهز الإله رأسه بعنف (بالقبول) ثم كرر له الكاهن الأكبر «لامون» ملك الآلهة «حريحور» قائلاً: ... («خنسو» كاهن «آمون رع» ملك الآلهة «حريحور» قائلاً) ... «خنسو» — في طيبة — الراحة الجميلة قولك. هب أن يقيموا لوحة ... (٢٠) ... «خنسو» — في طيبة — الراحة الجميلة التي عملها، فهز الإله راسه بعنف (بالقبول).

شكر «حريحور»: (٢١) ... الأبوية ستأتي إليك وملايين السنين ستكون في ... (٢٢) ... وستأتي أجيال يتكلمون عن هذه المعجزات الخاصة بـ ... (٢٣) ... أجيال أطفال سيعملون ... (٢٤) الكلمات التي أتت ستكون (٢٥) ... التي قلتها لي والتي منحنتني مدة

«حريحور» والأحداث التي أدت إلى توليته عرش الملك

عشرين سنة (٢٦) ... فهز الإله رأسه بعنف (بالقبول) ... (٢٧) ... وعلى ذلك أعطى
«حريحور» (أمره بإقامة هذه اللوحة) ... (٢٨) ... في وضعها صورة ...
وأهم ما يلفت النظر في هذا المتن غير ما ذكرنا أن الإله وعد «حريحور» بحكم عشرين
سنة، وهذا يذكرنا بما تمناه «رعمسيس الثالث» لابنه وهو مدة حكم طولها مائتا سنة.

نهاية الأسرة العشرين

وهكذا نرى أن «حريحور» على الرغم من أنه قام بهذا الانقلاب السياسي العظيم في البلاد خطوة فخطوة، فإن أساس فلاحه يرجع إلى أنه كان قائدًا حربيًا مهدت له الأحوال الداخلية في البلاد الاستيلاء على زمام الأمور جملة، وتوليَّ العرش في النهاية. وتدل سياسته على أنه كان رجلًا محنكًا ذا خبرة عظيمة، يحسب لكل موقف حسابه، ولا أدل على ذلك من أنه كان يعلم تمام العلم أن طائفة الكهنة في طول البلاد وعرضها كانوا أصحاب الشوكة والسلطان، وأن الأحوال كانت مهيأةً لهم للقبض على زمام الأمور في البلاد جملة؛ وبخاصة لأنه كان يعلم أن «أمنحتب» كاد يسيطر على الفرعون، وينتزع منه كل سلطاته الشرعية، وقد وصلت به الجراءة إلى أن رسم صورته على جدران المعابد بحجم مساوٍ حجم الفرعون؛ ومن أجل ذلك سعى لأن يخلفه في وظيفة «الكاهن الأكبر لآمون»؛ ليرضي أتباع هذا الإله، وبذلك ضرب ضربته على الرغم منهم بوصفه ممثلهم، فكان مثله في ذلك كمثل الملك «آبي»، الذي جمع بين الجندي والكهانة، وإن كان الانقلاب الذي قام به في الواقع انقلابًا حربيًا محضًا (راجع مصر القديمة ج ٥).

وقد أراد «حريحور» أن يوطد سلطانه في أسرته فيما بعد، فعين ابنه قائدًا للجيش، وكاهنًا أكبر «لآمون» مدة حياته؛ ليضمن له تولي العرش من بعده، غير أن الطابع العسكري كان ظاهرًا في كل تصرفات «حريحور»، يدل على ذلك أن ابنه «بيعنخي» قد لقب «قائدًا للجيش» قبل أن يلقب «كاهنًا أكبر»، بل كان يخاطب الوحي بوصفه قائدًا للجيش لا بوصفه الكاهن الأكبر «لآمون»، كما ذكرنا ذلك آنفًا.

ولا نزاع في أن «عصر النهضة» إذن كان البادئ له هو «حريحور»، وأنه لم يكن في مقدوره أن يحرز النصر النهائي الذي ناله بتولي الملك إلا بالجمع بين السلطتين الدينية والإدارية. ولما تم له كل ما أراد أصبح الفرعون في حالة من الضعف تشبه حالة خليفة

المسلمين إبان سقوط الدولة العباسية في «بغداد»، والمطلع على تاريخ آخر خلفاء العباسيين يجد بينه وبين تاريخ مصر في أواخر عهد «رعسيس الحادي عشر» أوجه شبه كثيرة — وبخاصة من الوجهة الحربية والدينية — فنرى أنه في كلِّ قد فاز رجال الجندية على رجل الدين، مع المحافظة على هيبة رجال الدين ظاهراً، وسلبهم سلطتهم فعلاً. غير أن الانقلاب الذي حدث قد أدى إلى تقسيم البلاد مملكتين — كما كانت قبل توحيدها مباشرة على يد «ميناء» حوالي سنة ٣٤٠٠ ق.م — المملكة الجنوبية وعاصمتها «طيبة»، وكانت صبغتها — ظاهراً — دينية، والثانية في «الدلتا» وعاصمتها «تانيس». وهكذا حُتِمَ تاريخ الدولة الحديثة التي وضع أساسها «أحمس الأول»، وانتقض بنيانها بموت «رعسيس الحادي عشر»، وعادت مصر إلى سيرتها الأولى من الانقسام.

(١) أثر رجال الدين في عهد الدولة الحديثة في نظم الحكم فيها

تحدثنا فيما سبق عن الخطوات التي أدت إلى سقوط الأسرة العشرين، وما كان لرجال الدين في ذلك من يد فعالة ونشاط جم، وكيف جمع «حريحور» في نهاية الأمر في يده السلطات الدينية والحربية والسياسية، مما أدى إلى سلبه عرش ملوك الرعامسة، والقضاء على حكمهم جملة. وتدل شواهد الأحوال على أن رجال الدين على الرغم من انقطاع نسل أسرة الكاهن «رعسيس نخت» لم يذهب سلطانهم، أو يقل نفوذهم في البلاد، بل حافظوا على مجدهم وأملاكهم في طول البلاد وعرضها مما أدى بعد موت «حريحور» إلى تقسيم البلاد مملكتين: إحداهما في الشمال وعاصمتها في «تانيس»، والأخرى في الجنوب وعاصمتها «طيبة». وقد ميزت كل منهما بطابع خاص؛ فكانت مملكة الشمال ذات طابع سياسي، ومملكة الجنوب ذات طابع ديني، وقد كان كل منهما منفصلاً عن الآخر في إدارة شؤونه على حسب مبادئه؛ فكانت مملكة الشمال سياسية محضة تحكم بمقتضى القوانين المشروعة في البلاد، وفي الجنوب كان الإله «أمون» هو الذي يحكم الصعيد بما يوحيه من أحكام تصدر عند الحاجة على يد الكاهن الأكبر «للكرنك». وهكذا نرى أن رجال الدين قد لعبوا دوراً هاماً في سياسة البلاد وحكومتها على حسب ما يوحى به «أمون» إله الدولة العظيم. وقبل أن نتحدث عن الكهنة العظام في «طيبة»، وعن ملوك الأسرة الواحدة والعشرين في «تانيس» يجب أن نلقي نظرة عامة على تدرُّج السلطة في يد كهنة «أمون» العظام، منذ نشأتها في عهد الدولة الحديثة حتى قيام دولتهم في «طيبة».

إنَّ تولي الكاهن الأكبر «حريحور» عرش الفراعنة، وانتصار السلطة الروحية ظاهراً على السلطة الدنيوية لم يكن نتيجة لمجهودات منظمة، وسياسة مرسومة مقصودة، وضعت منذ قرون مضت، وهذا ظاهر من الحقائق التي استعرضناها فيما مضى.

فمنذ أزمان بعيدة مضت كان الكهنة العظام يقنعون بأن يكونوا خدماً صالحين مخلصين لإلههم؛ وكانوا بعيدين كل البعد عن عَرَض الدنيا وشؤونها لدرجة أن مصالحي «آمون» الإدارية كانت حتى عهد «تحتمس الأول» يقوم بها رجال خارجون عن طائفة الكهنة، وقد كانت السياسة هي التي تسعى إليهم. فنجد أن الفراعنة قد حولوهم مباشرة عن شئونهم الدينية ليرموا بهم في أحضان الحياة الدنيوية لحاجة في أنفسهم، وبذلك كانوا يجعلونهم يأخذون بنصيب في حكومة البلاد. وقد لعب الاحترام الذي كانوا يتمتعون به، والنفوذ الذي كانوا يكتسبونه من وظيفتهم بوصفهم المترجمين بما يوحي به «آمون» من أحكام، دوره الهام في جعل أولاد الفرعون «تحتمس الأول» يعتمدون على هؤلاء الكهنة في توطيد ادعاءاتهم تاج مصر. ومن ثم نجد أن كهنة «طيبة» قد عاضدوا «تحتمس الثالث» على اعتلاء العرش، وقد كانت مساعدة الكهنة «لتحتمس الثالث» عظيمة بوجه خاص؛ لأنه كان قد تربى بينهم في طفولته في المعبد، تربية كان الغرض منها أن يصبح فيما بعد كاهناً (راجع مصر القديمة ج ٤). وقد رأينا بعد ذلك أن الملكة «حتشبسوت» قد وضعت على رأس هؤلاء الكهنة الذين أرادت أن يلتفوا حولها أحد المخلصين لها والموالين لعرشها، وهو الكاهن الأكبر «حبوسنب» (راجع مصر القديمة ج ٤).

ولم يلبث أن امتد سلطان الوظائف الدينية التي كان يتمتع بها كهنة «آمون» العظام، وعظم شأنها بدرجة خطيرة، فكان يلقب الواحد منهم رئيس كل كهنة الوجهين القبلي والبحري، فأصبحوا بذلك بمثابة ملوك أحبار للديانة المصرية القديمة، وفي الوقت نفسه أصبحوا هم المشرفين على إدارة أملاك «آمون»، الذي أصبح على أثر الهبات التي أغدقها عليه «تحتمس الثالث»، ومن بعده من الفراعنة بسخاء صاحب مكانة عظيمة جداً، وبذلك صار هؤلاء الكهنة العظام مديرين لضياح «آمون»، ومديرين لحقول «آمون»، ومديرين لبيتي فضة «آمون»، ولبيتي ذهب «آمون»، ومديرين لمخازن الغلال، ومديرين للقطعان، ومديرين لأعمال بيت «آمون».

وفضلاً عن ذلك اشتركوا رسمياً في إدارة البلاد. فقد تولى كل من «حبوسنب» و«بتاحمس» كاهناً أكبر، وفي الوقت نفسه وزيراً للدولة، وكان الكاهن «مري» حاكم الجنوب، والكاهن «منخبر رع سن» وزيراً للمالية، وكل هؤلاء تقريباً كانوا مشغولين في

الأعمال العامة، ويديرون المباني التي أمر الفرعون بإقامتها، ولن أتكلم هنا عن المكافآت والنياشين والرتب التي منحها إياهم الفرعون، وقد كانت هذه من أعلى ما يمكن أن يعطي الفرعون خدامه الذين كانوا يعدُّون بالآلاف. والواقع أن الكهنة العظام للإله «أمون» كانوا وقتئذٍ ملتفين حول الفرعون بكل إخلاص، وبدون أي غرض مقصود. فقد شاهدنا أن كلاً من «حبوسنب» و«منخبر رع سنّب» قد أخلص للميكة. وقد عاش الأول في عهد «حتشبسوت»، والثاني في عهد «تحتمس الثالث» (راجع مصر القديمة ج ٤) وأن كلاً منهما كان الصديق المتفاني في إخلاصه للميكة، والسند المتين الذي يرتكز عليه العرش. ولا نزاع في أنه لم يفكر واحد من الكهنة العظام في عهد الأسرة الثامنة عشرة قط في أن يتساوى مع الفرعون، أو خطر بباله أن يغتصب منه التاج.

ومع ذلك فإن القوة التي كان يكتسبها باضطراد الكهنة الطبييون، وثروتهم التي كانت تزداد بدرجة فوق المعتاد، وكذلك نفوذهم الروحي الذي كان يعظم باستمرار، كل هذه الأمور كان من أثرها أن جعل خلفاء التحامسة العظام، وبخاصة «أمنحتب الثالث»، ومن بعده «أمنحتب الرابع» المعروف باسم «إخناتون»، يشنون حروباً على هؤلاء الكهنة غاية في الشدة والعنف، انتهت بالانقلاب الذي قام به «إخناتون»، وقد سار في تنفيذ مآربه بعيد نظر وروية، فلم يأخذ كهنة «أمون» غدرًا، بل سار في نشر مذهبه خطوة فخطوة كما شرحنا ذلك في مكانه (راجع مصر القديمة ج ٥). وكذلك نلاحظ أن أعظم الفراعنة قوة في عهد الأسرة التاسعة عشرة؛ على الرغم من أنهم قد عادوا لعبادة «أمون»، قد انتحوا سياسة بالنسبة للكهنة، تشعر بالاحترام وحسن القبول، ولكن في الوقت نفسه كانت سياسة حازمة محدودة. وليس من الصواب القول: إنه بعد تولي «حور محب» عرش الملك، قد استعاد كهنة «طيبة» — مع ثروتهم التي كانت أعيدت لهم فعلاً — النفوذ الذي كانوا يتمتعون به في الأزمان السالفة؛ إذ نجد مثلاً أن «رعمسيس الثاني» على العكس، قد عمل عملاً يلزم الكهنة العظام حدود واجباتهم الحكومية؛ فنجد أن الكاهن الأكبر «باكنخنسو» أشهر الكهنة العظام في هذا العهد، لم يتولّى أي عمل إداري وحسب، بل كان سلطانه الروحي لا يمتد بعد إلى كل كهنة آلهة الوجه القبلي والوجه البحري، كما كانت عليه الحال في عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ فكان نفوذه ينحصر في أنه رئيس الديانة في «طيبة»، ولم يكن له سلطان على «منف» أو «هليوبوليس». هذا ولم نقرأ قط أن كاهناً أكبر ترعب على كرسي الوزارة في عهد الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين قبل عهد «حريحور». على أنه لو كانت مصر استمرت تحكم بفراعنة يقظين أقوياء، لكان من المحتمل جداً أن

يعيش كهنة «آمون» الأول الذين لم يكن لهم وقتئذ نفوذ في ظل معبدهم، متمتعين بما كان لديهم من ثروة وفيرة وشرف رفيع، كما كان يعيش الكهنة أعظم الرائيين «لرع» التابعون «لهليوبوليس»، أو كما كان يعيش الكهنة العظماء الخمسة التابعون لمعبد «تحت» في الأشمونين، وهؤلاء كانوا خاملي الذكر ليس لهم أي تاريخ حافل بالأحداث العظيمة. ولكن عهود الإمبراطورية الفاخرة كانت قد انقضت. ثم نشاهد بعد عهد كل من «رعمسيس الثاني» وابنه «مرنبتاح»، وبعد فترة عهد «رعمسيس الثالث» أن مصر قد وقعت فريسة للفوضى، أو كانت تحكم بفراعنة لم يكن في يدهم من القوة إلا مظهرها وحسب.

والواقع أنه منذ أكثر من مائة وخمسين سنة من العصر الذي نتحدث عنه، كان الكهنة العظام قد أبعدوا عن الوظائف الاجتماعية، مما أدى إلى عدم اكتراثهم بتوطيد عرش الملك وسلامة الدولة، وأنهم في وقت تلك المحنة التي عمت البلاد لم يفكروا إلا في المحافظة على ثروتهم، والاستمرار في تنمية نفوذهم وسلطانهم، وقد عرف «رومع-روي» ذلك الكاهن الأول الجريء (راجع مصر القديمة ج٦) كيف يمكنه أن يستغل الثقة التي وضعها فيه الفرعون؛ ليمد من جديد سلطان الكهنة العظام «لآمون» على رجال الدين ومعابد الوجه القبلي والوجه البحري، وبعد ذلك استفاد من انعدام السلطة المدنية بعد موت الفرعون «مرنبتاح» حتى بلغت به الجرأة أن نقش اسمه ورسم صورته على غرار ما كان يفعله الفرعون على أحد جدران معبد الكرنك، على مقربة من مسكن الكهنة العظام، وهو المكان الذي كان على ما يظهر ينبغي على «حريحور» أن يخرج منه؛ ليتوج ملكًا على البلاد عندما حانت له الفرصة.

وحركة الانقلاب التي رسم خطتها «رومع-روي» هذا لم يكن لها ما يشجعها مباشرة؛ وذلك لأن النشاط البارز الذي أظهره «رعمسيس الثالث»، كان كافيًا لوقف إرادة كهنة «آمون» العظام المتأرجحة نحو الاستقلال، ولكن عندما اختفى من على عرش الفراعنة آخر ملوكها العظام لم تلبث البلاد أن عضها الفقر بناه، وأناخ الذل عليها بكلِّه، وأصبحت تحكم برماد من الفراعنة. عندئذ رأينا على كرسي كهانة «آمون» الأعظم أسرة بقي أفرادها يتوارثون هذه الوظيفة مدة تبلغ حوالي الأربعين حولًا. وهكذا نجد أنه قد تأسست أسرة من الكهنة يجلسون على عرش الكاهن الأكبر «لآمون»، تقابل تلك الأسرة التي كانت تجلس على عرش الفراعنة. وهكذا نجد للمرة الأولى أن وظيفة الكاهن الأكبر «لآمون» في مصر كان يتوارثها الابن عن الأب، فتولاهم أولًا «رعمسيس نحت»، وتلاه ابنه «نسامون»، ثم أعقبه أخوه «أمنحتب». وقد لاحظنا أن نفوذ هؤلاء الكهنة العظام كان

بارزاً وله أثره في البلاد أكثر من السلطة الدنيوية التي كانت بدون قوة تعززها. والواقع أن أفراد هذه الأسرة كانوا هم القابضين على زمام الأمور في البلاد من كل ناحية؛ فكان من بينهم الوزير ورئيس المشرفين على الضرائب وغير ذلك. وقد وصل نفوذ الكاهن الأكبر إلى درجة أمكنه بها أن يجعل مالية «أمون» مستقلة، وأن يرسم صورته على جدران معبد «الكركن» بنفس الحجم الذي مثلت به صورة الفرعون نفسه، وهذه ظاهرة لم تعرف قط في تاريخ البلاد منذ فجر التاريخ، أي إن الكاهن الأكبر أصبح مساوياً للفرعون، وعلى ذلك نجد أن السلطة المدنية وقيادة الجيش كانت لا تزال في يد المدنيين، ولكن كما رأينا لأسباب خاصة أن «حريحور» الذي خلف «أمحتب» قد أفلح في أن يجمع في يديه القوة الدنيوية والسيطرة الروحية. فكان رئيساً لكهنة «أمون» الأثرياء، وقائداً لكل الجنود، ورئيساً للمالية، ونائب الفرعون في بلاد النوبة ووزيراً، والمدير الإداري للأرضين وذلك في عهد فرعون نكرة.

وتدل شواهد الأحوال ظاهراً على أنه قد صار إلى الأمام بالمشاريع الطموحة، التي كان قد وضع تصميمها «رومع روي» و«أمحتب»، غير أن «حريحور» لم يكن من أسرة كهنة، ولم يتربّ تربية دينية، بل تدل كل الظواهر على أنه كان جندياً، وأنه لم يترعب على كرسي كهانة «أمون» إلا لعلمه أنه لن يصل إلى غرضه إلا بمساعدة هذه الفئة التي كان في يدها ثروة البلاد، كما كانت تسيطر على عواطف الشعب الدينية، وقد كان غرضه إذن تفضيل خدمة نفسه على خدمة مليكه، عن النقيض من «حبوسنب» و«منخبر رع سنب»، اللذين لم يكن لهما همٌّ إلا مجد سيدهما وفخاره. وقد كان من الطبيعي أنه بعد أن بقي نحو عشرين سنة يشغل وظيفة عمدة القصر الملكي لفرعون خامل، قام في خلالها بالقضاء على كل الرذائل التي كانت شائعة في البلاد، وبإطفاء نار الثورة التي كانت مندلعة في «طيبة»، وبالقضاء على الأجانب الذين كانوا يجتاحون البلاد من كل حدبٍ وصوب، وأنه لما تم له كل ما أراد من إصلاح ظل هو الحاكم الفعلي في البلاد بجوار الفرعون «رعمسيس الحادي عشر»، حتى إنه لما اختفى من عالم الحياة اعتلى عرش الفراغنة، أو على الأقل تولى حكم الجزء الذي تركه له «سمندس»، الذي كان يحكم بوصفه فرعوناً في «تانيس» التي اتخذها عاصمة للملكه، فكان في البلاد وقتئذ فرعونان: أحدهما في الجنوب في «طيبة» وهو «حريحور»، والآخر في الشمال في «تانيس» وهو «سمندس».

ولما أن تم «لحريحور» الاستيلاء على تاج البلاد فكر فيمن يجب أن يكلفه القيام بوظيفة الكاهن الأكبر «لأمون». وقد اتضح له جلياً أنه لا يمكن لرجل واحد أن يقوم

بوظيفة الكاهن الأكبر «لأمون»، وإدارة أملاكه في «الكرنك» بصفة منظمة. وفي الوقت نفسه يأخذ على عاتقه تدبير شئون الملك. ومن جهة أخرى كان يعلم «حريحور» حق العلم أكثر من أي شخص آخر أن رئيس الكهنة «لأمون» كان أكبر مناهض خطر «للفرعون»؛ ولأجل ذلك فإنه قد حل هذه المعضلة حلًا موفقًا باختياره من أفراد أسرته، فانتخبه من بين أولاد الكاهن الأكبر «لأمون» أي: ابنه «بيعنخي»، وقد نهج نهجه أخلافه من بعده. ونحن نعلم أن «حريحور» عندما أصبح فرعونيًا على البلاد انتخب ابنه «بيعنخي» كاهنًا أكبر «لأمون»، ولكنه زوده بأكثر من ذلك، إذ ولاه قيادة الجيش، غير أنه مات قبل أن يتولى عرش الملك في «طيبة». وقد خلف «بيعنخي» ابنه «بينوزم» الأول، وعندما نودي ليتولى عرش الكنانة كلف بكر أولاده «ماساهرتا» بالقيام بمهامه الدينية، وقد سلم الأخير لأخيه «منخبر رع» مهام الكهانة بدوره. ولما تولى «منخبر رع» عرش الملك نصب ابنه «سمندس» على كرس رياسة كهانة «أمون»، وقد خلفه على العرش «بينوزم الثاني»، وهو والد الملك «بسوسنس» كما سيجيء بعد. وقد اعتنق ملوك «بويسطة» (الأسرة الثانية والعشرون) أولاً نفس السياسة كما سنرى بعد، فنجد أن «شيشنق» مؤسس الأسرة الثانية والعشرين قد خلع على ابنه «أوبوت» لقب الكاهن الأكبر «لأمون»، وبعد «أوبوت» تربع على كرسي كهانة «أمون» «شيشنق» و«أورات»، ثم «سمندس» ابن الفرعون «أوسركون الأول»، ثم تولاه «تامراتي» بن «أوسركون الثاني»، ثم اعتلاه بعد ذلك «بدو باست» (?) بن «حورسا إزييس» (الذي كان نفسه كاهنًا أكبر) ثم جلس عليه «أوسركون» بن «تاكلوت الثاني».

وهكذا سارت الأحوال حتى بداية القرن الثامن قبل الميلاد، عندما خاف «أوسركون الثالث» بحق من الخطر، الذي يمكن أن يهدد هذه الأسرة التي كان أمراؤها من الكهنة، وبخاصة أن ملوكهم كانوا يعيشون بعيدًا عن «طيبة» فألغى وظيفة الملك الكاهن بوصفها تمثل الحياة السياسية في «طيبة»، ووضع على رأس أملاك «أمون» وكهنته «الزوجات الإلهية»، والمتعبدات الإلهية، وقد بدأت سلسلة أولئك السيدات بابنته «شابتأبت».

ونحن نجهل منذ البداية الدور الذي كانت تلعبه هؤلاء الكاهنات، وقد كان جزء منهن يسكن على الأقل في «معبد الأقصر»، الذي كان يسمى «الحريم الجنوبي لأمون». وقد قال عنهن مسبرو (maspero, guide 276): «أنهن يؤلفن طائفة من الحظيات المقدسات كالاتي يوجدن في «فينقيا» و«سوريا» وفي «كلديا». وهذا القول فيه شك، ولكن يحتمل أنهن كنَّ يؤلفن مجرد رفيفات، وبمثابة حرس شرف للكاهنة التي كان لها علاقة جسمية مع الإله، وهي التي كانت تحل على الأرض محل الإله «موت» زوج الإله «أمون»، أو كما

كانت في الأصل الإلهة «حتحور» زوج الإله «رع»، الذي وحد «آمون» معه فيما بعد فسمي «آمون رع»؛ ولذلك كانت تدعى «الزوجة الإلهية لآمون» أو كذلك «اليد الإلهية» أو «المتعبدة المقدسة لآمون». وهذا الدور الهام الذي كانت تلعبه الزوجة الدنيوية للإله كانت تقوم به الملكة؛ وذلك لأنه إذا كان «آمون» الجسم في الفرعون الحاكم قد تفضل أحياناً فاجتمع بامرأة من عالم الدنيا، فإن القصد الوحيد من ذلك كان لاستمرار جريان الدم الإلهي في عروق فراعنة مصر الذين كانوا ينسبون إليه، وكانت الزوجة الإلهية «لآمون» شرعاً الرئيسة العامة لكل الكاهنات الإناث في «الكرنك»، وهي التي كانت تقوم بالدور الهام بلا شك في أثناء الأفعال، فكانت تحرك الصحابت، وتغني لتدخل السرور على الإله، وتحمل الأزهار (راجع (A. Z. 35 (1897) p. 17 & A. S. V p. 85, 692).

وكان لها بيت يديره مدير خاص يدعى مدير بيت الزوجة الإلهية أو الكاهن العظيم للبيت. وكان لها مخازن ومصانع يدير شئونها موظف يُلقب مدير مصانع الزوجة الملكية.^١

وكانت كذلك تتصرف في دخلها الذي يشمل مؤناً وحبوباً كان يشرف عليه موظف بلقب «مدير بيت الغلال المزدوج لبيت زوج الإله» (Berlin Insch. II p.299, No 8740)، وكذلك كان لها قطعان يدير حسابها كاتب، وحقول تزرعها طائفة من الفلاحين.^٢ وأخيراً كان لها خزانة مالية خاصة.^٣

وأقدم زوجة إله معروفة لنا حتى الآن هي الملكة «أعح حتب» والدة الفرعون «أحمس الأول» مؤسس الأسرة الثامنة عشرة (Cat. Gen. Lacau No. 34009)، وقد أصبح تقريباً كل أمهات الملوك يحملن هذا اللقب على غرارها، وذلك قبل عهد الانقلاب الديني الذي قام به «أخناتون»، وهذا اللقب من جهة أخرى لا نجد أمهات ملوك الأسرة التاسعة عشرة يحملنه إلا نادراً، أو أقل من ذلك في عهد الأسرة العشرين. والشيء الغريب الذي يظهر منه أن هذه التسمية قد فقدت أهميتها الأصلية أن هذا اللقب لم تكن تحمله قط الملكات اللائي كنَّ يلعبن دورهنَّ في تمثيل الزواج الإلهي، وهو أن هذا اللقب كانت تحمله أميرات شابات يمكن أن يصبحن في الواقع زوجات ملكيات. فنجد مثلاً أن ثلاثاً من بنات «أحمس الأول»

^١ راجع: Daressy: Rec. de Cones Nr 247.

^٢ راجع: Legrain. Reper. Nr. 47; & Daressy Rec. de Cones Nr. 86.

^٣ راجع: L. R. II, p. 183, 207, 225, 234, 272, 287, 330.

واثنتين من بنات الملكة «حتشبسوت» كنَّ يحملن لقب الزوجة الإلهية (راجع مصر القديمة ج ٤).

وكذلك لدينا لقبان يمكن أن يلقب بهما الزوجات الإلهيات، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. الأول لقب «يد الإله»، وهذا اللقب يشير إلى العمل الوحشي الذي كان يأتيه الإله «آتون»، وهو الإله الأول الذي بالاستمناء بيده أوجد الإلهين «شو» و«تفنوت» كما حدثنا عن ذلك كهنة «هليوبوليس» في نقوش الأهرام (راجع pyr. Text. 124). وهذا اللقب الذي تحمله الزوجات الإلهيات كانت تحمله الإلهة «حتحور» زوج الإله «رع»، وعندما وحد الإله «أمون» بالإله «رع» انتقل هذا اللقب إلى الزوجات السماوية، كما لقبت به الزوجات الدينيوية لإله الكرنك.

وكذلك وجدنا مع لقب الزوجة الملكية لقب «يد الإله»، وقد عثر عليه للمرّة الأولى على ما يظهر على أثر للملكة «حتشبسوت» و«تحتمس الثالث»^٤. وكذلك كانت تحمله إحدى بنات الفرعون «تحتمس الثالث» التي تسمى «أمنمریت»^٥. وكذلك والدة الفرعون «أمنحتب الثاني» (راجع L. D. Text III p. 258) وفي عهد «رعمسيس الثالث» نجد امرأة تحمل هذا اللقب، وكانت تشارك في العيد الثلاثيني لهذا الفرعون غير أننا نجهل اسمها (راجع Champ. Notices Desc L. p. 271).

وفي عهد الملكة «حتشبسوت» كذلك نجد لقباً آخر يفسر نفسه وهو: المتعبدة الإلهية «لأمون». والواقع أن إحدى بنات هذه الملكة تحمل هذا اللقب^٦.

وكذلك في عهد الأسرة العشرين التي نحن بصدها الآن نجد أن إحدى زوجات الفرعون «رعمسيس الثالث»، وزوجة «رعمسيس الرابع»^٧ تحمله، وكذلك بنت «رعمسيس السادس» «إزيس»، التي أراد البعض أن يجعلها زوجة الكاهن الأكبر «أمنحتب» دون برهان^٨.

^٤ راجع: Legrain-Naville, Annales du Musée Gomet XXX, Pl. XI B.

^٥ راجع: Naville. The XIth Dyn. Temple I, Pl. XXVIII B.

^٦ راجع: Gauthier, L. R. II p. 252.

^٧ راجع: Ibid. III p. 174, 190.

^٨ راجع: Ibid. p. 201.

ونصادف مرات عدة لقب المتعبدة الإلهية «لأمون رع» ملك الآلهة في ورقة «إبوت»، وهذا اللقب كان دائماً مكتوباً في طغراء ليزكرنا بأن حاملته من الأسرة المالكة. والظاهر أن حاملته كان لها عبادة خاصة، إذ كان لها كهنة وكتاب. وسنرى بعد أنه في عهد الأسرة الواحدة والعشرين كانت زوجة «الكاهن الملك» «بينوزم الأول» المسماة «ماعت كارع» تحمل لقب الزوجة الملكية، والمتعبدة الإلهية «لأمون»^٩. وكذلك في عهد الأسرة الثانية والعشرين كانت زوجة «شيشنق الأول» هي زوجة «تاكيلوت»^{١٠} تحملان هذا اللقب. وأخيراً يجب أن نذكر هنا أن كل من «شابنابت» و«أمنريتيس» و«نوتكريس» كنَّ يحملن الألقاب الثلاثة معاً: الزوجة الملكية، ويد الإله، والمتعبدة الإلهية؛ كما كنَّ يحملن لقب الوصية في «طيبة». وفي الوقت نفسه الكاهنة الكبرى «أمون».

والمجموعة الصغيرة الجميلة المحفوظة الآن «بمتحف القاهرة»، والتي تمثل «أمنريتيس» جالسة على ركبة «أمون» تفسر بصورة رمزية خلافة الاجتماع الخفي لهؤلاء النسوة مع أزواجهنَّ الإلهيين. ولما كانت هؤلاء النسوة قد وهبن أنفسهنَّ ليكنَّ عذارى فإنه لم يكن لهنَّ نسل؛ ولذلك لجأن لاتخاذ دعيات يحلن محلهنَّ، ويحملن ألقابهنَّ بعد وفاتهنَّ، وقد كانت البنت التي تتخذها الكاهنة دعية لها لتخلفها يفرضها الفرعون عليها. والواقع أن الإصلاح الذي قام به «أوسركون الثالث» قد خدم أولاً أغراض ملوك الأسرة الخامسة والعشرين النوبية الأصل. فقد كان لزاماً على «شابنابت» بهذه الكيفية أن تتخذ خلفاً لها «أمنريتيس» بنت الملك «كاشتا»، وقد اتخذت الأميرة دعية لها إحدى بنات «بيعنخي» النوبي الأصل، وكانت تسمى كذلك «شابنابت»، وقامت الأخيرة بدورها بادعاء ابنة أخرى تدعى «أمنريتيس» ابنة الملك «تهركا». وفيما بعد نجد في العهد الصاوي «نوتكريس» بنت الملك «بسامتيك الأول». وأخيراً تبنت «نوتكريس» بنت الملك «بسامتيك الثاني» التي تدعى «عنخسنفر-أبرع» وقد امتد عهد كهانتها مدة طويلة، وانتهى بحلول الفتح الفارسي، ومن البدهي أنه كان بجانب هؤلاء الأميرات «أزواج الإله» كهنة محترفون يقومون بأداء الشعائر الدينية، التي لم يكن في مقدور امرأة أن تقوم بها.

^٩ راجع: Ibid. III. p. 253.

^{١٠} راجع: Ibid. p. 320, p. 356.

وهذا هو السبب في أن وظيفة الكاهن الأكبر «لامون»، التي كانت قاصرة على الأمور الدينية المحضة لم تختفِ جملة. وعلى الرغم من أنه قد شغلها مرة في ظروف لا يمكن أن نحدد لها أحد أولاد الملك «شباكا»، وهو الأمير «حرمخيس» (راجع A. S. XXV p. 25) فإنها كانت قد انحطت وضاعت هيبتها كما نشاهد ذلك على اللوحة الشهيرة الخاصة بالكاهنة زوج الإله «نوتكريس»، حيث نجد أن الكاهن الأول «حور حب» قد اتخذ مكانته بكل تواضع بعد الكاهن الرابع الأمير «منتومحات». وهكذا نرى من كل ما سبق أن الأبهة وألقاب الشرف، ومظاهر السلطة التي كانت في يد الكهنة قد انتقلت دون خطر على السلطة الفرعونية إلى أيدي هذه الأسرة العقيمة من الأميرات العوانس، وهنّ اللاتي خصصن أنفسهنّ لعبادة «أمون»، وقد وجد الفراعنة أخيراً في تنصيبهنّ في هذه الوظيفة — في اللحظة التي كان استقلال مصر ذاهباً نحو الضياع — الوسيلة التي تحفظ بها بصورة حاسمة الحقوق المميزة للحكومة، دون أن يخدش احترام السلطة الدينية التي كانت من قبل في يد الكهنة العظام.^{١١}

(٢) نظام الحكم في عهد الدولة الحديثة من الوجهة السياسية

تحدثنا فيما سبق عن تطوّر الأحوال الدينية في عهد الدولة الحديثة وما بعدها بوجه عام، فيما يخص الكاهن الأول للإله «أمون». وسنحاول الآن أن نضع أمام القارئ هنا صورة مختصرة شاملة عن نظم الحكم في عهد الإمبراطورية، منذ تولى «أحمس الأول» حوالي عام ١٥٨٠ ق.م إلى أن تولى «حريحور» عرش ملك الفراعنة حوالي عام ١٠٨٥ ق.م. وقد تحدثنا في الجزء الخامس عن الإمبراطورية المصرية في آسيا بشيء من التفصيل. ولكننا هنا سنتحدث عن نظم الحكم عامة في داخل مصر وخارجها مدة خمسة القرون التي مكنتها الدولة الحديثة، وكانت في خلالها بين مد وجزر. وهذا العصر يبتدئ بطرد «الهكسوس»، وإعادة وحدة مصر تحت حكم أمراء «طيبة»، وينتهي بتقسيم مصر ولايتين مستقلتين إلى حد ما؛ إحداها في الجنوب تحت حكم «حريحور» وعاصمته «طيبة»، والأخرى في الشمال تحت حكم «سمندس» وزوجه «تنتأمون» وعاصمتها «تانيس». وهذا العهد يشمل عصر أعظم قوة وثروة تمتعت بهما مصر، وهو العصر الذي كانت تدين فيه لمصر بلاد الشرق قاطبة.

^{١١} راجع: G. Lefebvre. Histoire des Grands Pretres p. 215 ff.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه كان العصر الذهبي للإمبراطورية المصرية. وقد انتهى هذا العصر كما ابتداءً بعصر طويل ظهرت فيه مصر بمظهر الضعف والركود مشفوعاً بانشقاق داخلي.

ولا نزاع في أن الجهود القومي الضخم الذي بذله المصريون في طرد «الهكسوس» قد أعطى المصريين قوة ساعدتهم على متابعة غزوهم حتى نهاية الحدود الشمالية من «سوريا». وعلى قدر ما وصلت إليه معلوماتنا كان الجيش المصري في باكورة الأسرة الثامنة عشرة يتألف من جنود مصريين أصليين وهذا هو السر في مد سلطان مصر وعظم فتوحها، وقد كان الفرعون الغازي في أثناء عهد الفتوح الأولى للإمبراطورية يكافئ البارزين من رجال جيشه المدربين بالأراضي وبالعبيد من الأسرى وبأنواع أخرى من الغنائم التي حصل عليها من تلك الأصقاع، وكذلك كانوا يهبون معابد الآلهة العظام الأراضي والعبيد والغنائم، وقد استمرت عادة منح المعابد الهبات العظيمة خلال كل عهد الدولة الحديثة. (راجع مصر القديمة ج ٥).

وأخذ فراغنة العهود المتأخرة لهذا العصر يعتمدون على القوآت الحربية، وعلى رجال الشرطة الذين كانوا ينتخبون من بين الأجانب وبخاصة النوبيين واللوبيين، وإن كانت نسبة العناصر المصرية قد بقيت عالية بين القوات المسلحة، وقد وصل بعض الأجانب إلى أعلى الرتب في خدمة الحكومة المصرية، حتى إننا رأينا في عهد الفوضى التي وقعت في نهاية الأسرة التاسعة عشرة سورياً من المخاطرين كان في مقدوره أن يقبض على زمام الأمور في مصر، ويعتلي أريكتها (راجع مصر القديمة ج ٧). وهكذا نرى في مصر الموحدة السكان نسبياً أن المصريين الذين طردوا «الهكسوس»، قد نما بينهم في العهد الذي نتحدث عنه عدد مميز قوي من الطوائف، التي كانت لها منافعها وميولها المتضاربة. ويمكن أن نميز من بين هذه الطوائف بوجه خاص طائفة الموظفين المدنيين، وطائفة الكهنة، وعلى وجه أخص التابعين للمعابد الكبيرة، وضباط رجال الجيش، والجنود المرتزقة، وكل هذه الطوائف كانت تتصادم بعضها مع البعض الآخر إلى حد ما من أجل الوظائف المدنية، ولم يشذ في ذلك ضباط الجيش أو الكهنة.

ونحن نعلم من «المتون المدرسية» التي عثر عليها في عهد الأسرة التاسعة^{١٢} عشرة أن الموظفين المدنيين، وهم الكتاب ورجال الإدارات الحكومية كانوا ينظرون نظرة احتقار

^{١٢} راجع كتاب الأدب المصري القديم الجزء الأول للمؤلف ص ٣٥٧ ... إلخ، والجزء الثالث من مصر القديمة.

إلى كل من رجال طائفة الجنديّة ورجال طائفة الكهنة، وهؤلاء الرجال كانوا بلا شك يشعرون بأن لهم منافع طائفية مختلفة عن منافع طائفة الجيش أو طائفة الكهنة، ومن المعقول أن نزع أن رجال الجيش، ورجال الكهنة كانوا يتبادلون الود فيما بينهم، وقد كان يبدو غريباً في بادئ الأمر أنه لم تنشب معارك لاكتساب السلطان أحياناً بين الطوائف الثلاثة السالفة الذكر، غير أن البراهين على وجود مثل هذه المعارك ضئيلة جداً، هذا فضلاً عن أن الدعاية قد صبغتها بصبغة براقية، حتى إننا قد نرتكب أفضح الأخطاء وأغربها إذا حاولنا أن نجد لها مبررات، ولدينا مثال حديث بارز جداً يوضح الخطر الذي يقع فيه المؤرخون في مثل هذه الأحوال؛ وذلك أن الفرعون «حريحور» مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين — وهو الذي كانت توليته عرش الملك عام ١٠٨٥ ق.م تعد الخاتمة الرسمية لعهد الإمبراطورية، الذي نحن بصده الآن — كان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر «لامون» عدة سنين قبل أن يستولي على الألقاب الملكية. وعندما تولى «حريحور» عرش الملك نجد فعلاً لقب «الكاهن الأكبر لامون» لقباً ملكياً له ووضع في طفرائه الأول، ثم وضع اسمه «حريحور» مضافاً إليه «ابن أمون» في طفرائه الثاني. وقبل أن يتولى «حريحور» الملك بفترة، أي عندما كان الكاهن الأكبر «لامون» ولم يكن بعد فرعوناً، تجاسر أن يصوّر نفسه على جدران المعبد بنفس حجم صورة الفرعون الحاكم وقتئذ، وهو «رعسيس الحادي عشر»، أي إنه كان يعدّ نفسه معادلاً له في المكانة. وهذه الحقيقة وغيرها من الحقائق التي لا شك فيها تدل في ظاهرها على أن ارتقاء «حريحور» عرش الملك يعدّ انتصاراً مبيهاً لكهنة معبد «أمون» «بالكرنك». وقد أعدها كذلك كل علماء الآثار حتى عام ١٩٣٦، عندما برهن «هرمان كيس» في مقاله الذي أشرنا إليه آنفاً أن التفسير الحقيقي هو العكس من ذلك؛ لأن «حريحور» كما قلنا لم يكن في بادئ أمره كاهناً أول قط، بل يحتمل أنه كان من رجال الجيش مثل سالفه الملك «أي» (راجع مصر القديمة ج ٥). وقد كان توليه وظيفة الكاهن الأول «لامون» في الجزء الأخير من عهد «رعسيس الحادي عشر» يمثل هزيمة ساحقة لحزب كهنة «أمون»، أو على الأقل هزيمة منكرة لأسرة الكهنة العظام السابقة له، وهي التي بدأت «برعسيس نخت»، وانتهت «بأمنحتب».

وهذه الأسرة نفسها على ما يظهر لم تكن تضرب بأعراقها في الكهانة، ولم يكن إذن تتويج «حريحور» فرعوناً بعد ذلك ببضع سنين نصراً للكهنة، وقد استولى «حريحور» على الوظائف الدنيوية ذات السلطان؛ فتولى نائباً على بلاد «كوش»، وتقلد وزارة الوجه القبلي حوالي نفس الوقت الذي تولى فيه رئاسة كهنة «أمون» «بالكرنك». ومن المتحمل أنه

خلع فيما بعد وظيفة الوزارة على موظف آخر من الموالين له بطبيعة الحال من حزبه؛ غير أنه مما لا نزاع فيه أن الخطوة التالية التي خطاها في تنفيذ سياسته، وهي الاستيلاء على عرش الملك كانت تركز على قوة حربية لا على قوة الكهنة، وقد أبرز علاقته «بأمون» وكهنة «أمون» لنفس السبب الذي أبرزت من أجله الملكة «حتشبسوت» ولادتها الخارقة لحد المؤلف (راجع مصر القديمة ج ٤) وذلك لأجل أن يعرض أمام الشعب اغتصابه الملك بلون ديني كاذب تمامًا.

ويجب أن يكون هذا الرأي المضاد تمامًا للرأي الذي كان يظهر أمام المؤرخين بدهياً عن «حريحور» وتولييه العرش، وهو بلا نزاع يساعدنا على أن نكون على حذر؛ فلا نجزم عند تفسير التيارات الخفية في السياسات المصرية القديمة، وأن الظواهر شيء والحقائق الواقعة شيء آخر، وهذا ما نشاهده الآن في سياسة الدول الكبرى.

أما من حيث نظام الحكومة وقواها، فإن كل إنسان يعلم أن الفرعون كان ملكاً مستبداً، وأن سلطته كانت تركز نظرياً على زعم ألوهيته، إذ نجد أنه على الدوام كان يدعى «الإله الطيب». وكذلك كان يتصف بلقب من أكثر ألقابه شيوخاً، وهو «ابن إله الشمس رع»، ونحن نعلم من جانبنا أن ادّعاءه أنه من نسل إلهي لم يكن مجرد استعارة لفظية، بل كان المقصود أن يفهم ذلك بمعناه الحرفي، وكذلك كان يحافظ دائماً على بقاء دم الأسرة نقياً من أي دم أجنبي، مما أباح لهم زواج الأخت والبنات (راجع مصر القديمة ج ١) ويقول لنا كتاب البلاط الملكي أن الفرعون الإلهي كان يفعل كل شيء لازم لسعادة شعبه بما لديه من قدرة لا حد لها، وهي تلك القدرة التي يتميز بها الآلهة، فيقصون علينا أنه كان يحصد أعداءه بعشرات الألوف في ساحة القتال، وأنه قد كشف بنفسه عما هو خطأ في كل أنحاء إمبراطوريته، وأنه بنفسه وضع القوانين اللازمة والقواعد التي تضع كل شيء في موضعه الصحيح. وكذلك حدثونا أن الملوك الأجانب سعوا إليه في الحال من بلادهم النائبة حاملين جزيثهم على ظهورهم، وراجين الفرعون نفس الحياة الذي لا يعطيه أحد سواه، كما يقصون علينا أشياء أخرى كثيرة لا يمكن تصديقها، ولا يمكن أن تتأتى إلا على أيدي الآلهة، كما جاء في لوحة «أمنحتب الثاني»، التي كشف عنها المؤلف حديثاً (راجع مصر القديمة ج ٤).

وكذلك نجد في نقوش تراجم الموظفين العظام والكهنة نفس المغالاة في مدح أنفسهم، وإظهار فضائلهم، كل على حسب مستواه، كما كان للبلاط مادحون يطرون الفرعون وأنفسهم على السواء، فكثيراً ما نجد في النقوش أن فلاناً كان مثال الفضيلة والمهارة،

ولكن معلوماتنا عما فعله فلان هذا كانت في العادة تقتصر على قائمة ألقاب محدودة، والألقاب قد لا تعني دائماً ما هو ظاهر منها.

والواقع أن معلوماتنا الحقيقية عن كيفية سير الإدارة الحكومية الفرعونية، وعن الأثر الذي كانت تحدثه في حياة الرعية قليلة جداً بكل أسف، وكثير من الوثائق الخاصة بذلك يمكن تفسيرها بأكثر من وجه واحد، وعلى ذلك فإن الصورة الناتجة التي نستنتجها من ذلك تحتوي أحياناً أموراً كثيرة غير مؤكدة.

وقد ذكرنا عند الكلام على الوزير «رخ مي رع» أن الأثري «دافيز» قد عارض بشدة في أن الأربعين «شسم»، التي خصصت بجلد وهي التي وجدت موضوعة على رقعة قاعة المحاكمة التي يجلس فيها الوزير للحكم بأنها ليست ملفات جلد تشمل متن مواد القانون، ولكنها على ما يظهر قضبان مرنة مقطوعة من جلد. وبعبارة أخرى أسواط سلطة كانت توضع في أيدي موظفي الأقاليم بمثابة تصريح لتنفيذ القانون كما تفعل العمد في القرى بعصيم الآن. وقد فسرت هذه العصا بأنها آلات لتوقيع العقاب، وهي بهذه الكيفية لا يمكن أن تكون لها الميزة التي منحتها الأربعون «شسم» في كل من الصورة والمتن، وأن هذا الشكل البسيط جداً الذي مثل به الأربعون إلهاً هذه يظهر من الصعب جعلها تتفق مع أسواط التعذيب التي كانت توضع في أيدي موظفي الأقاليم، وليس هناك مانع في الرأي القائل: إن كلمة «شسم» كانت تعني في الأصل «سير» أو شريط جلد، أو أن كليهما أصبح يعني «سوطاً» ما جاء في متن: «أنه ضرب بخمسين سوطاً.» (راجع Revue d'Egyptologie I 1933 p. 63) أو تعني واحدًا من مجموعة من المخطوطات الجلدية. ويلاحظ أن الكلمة الإنجليزية Code، وهي من اللاتينية Codex Caudex ومعناها «جذع الشجرة» أو قطعة من الخشب، أو لوحة للكتابة تعني غالباً مجموعة صور قوانين، أو حتى تعني مجموعة معينة للقوانين. مثال ذلك قوانين «جوستنيان». أما عن الشكل الطويل الرفيع الذي تتخذه الأربعون شيئاً، فإن عدم الاعتماد على النسب في رسم الصور المصرية معروف تماماً. هذا إلى أن عدم وجود حبال حولها لتربط كلاً منهما يمكن أن يبرهن على شيء من الحقيقة في أنها ملفات بردي؛ وذلك لأن هذه الملفات كان من المحتمل أنها قد فُكت؛ لتكون على استعداد للرجوع إليها. ولكن موضوع وجود كتاب قانون فرعوني لا يمكن أن ينظر إليه على أنه حقيقة مؤكدة إلا إذا ظهرت لنا براهين جديدة؛ لأن موضوع الأربعين قطعة (شسم) لا يزال فيه شك، ويجب أن يبقى معلقاً مؤقتاً إلى أن يظهر ما يؤكد تفسيره بهذه الصورة.

ولا نزاع في أن حكم الفرعون كان حكمًا مطلقًا بكل معنى الكلمة. فقد كان القانون مجرد إرادة الفرعون التي كان يعبر عنها بصفة رسمية. وإذا كان القانون قد شرع فإنه كان من الواضح أن أية مادة منه يمكن الفرعون الجالس على العرش أن يغيرها أو يلغيها في أي وقت. ومن بين الوثائق القليلة جدًا التي وصلت إلينا من عصر خمسة القرون التي نبحث فيها الآن واحدة فقط، فقد اقتبست مباشرة بوصفها أمرًا قانونيًا دالًا على السلطة. وفي هذه الحالة الوحيدة نجد أن الاقتباس قد تقدمه الكلمات البسيطة «إن الفرعون قد قال»^{١٣} (والقول ما قالت حزام) والقوانين القليلة التي وصلت إلينا مثل منشور «حور محب» (راجع مصر القديمة ج ٥) ولوحة «نوري» (راجع مصر القديمة ج ٦) تظهر لنا نفس هذه النظرية القانونية، فنجد أن متن منشور «نوري» يبتدئ بالكلمات التالية: «إن جلالته قد أمر». وقانون «حور محب» يبتدئ بما يأتي: «إن الملك نفسه قد قال». وعلى ذلك فإن ما قاله الفرعون هو القانون.

ويلاحظ بطبيعة الحال أن حق الفرعون في الحكم كان يرتكز نظريًا على أنه إله؛ وذلك لأن إله الشمس «أمون رع» قد أنجبه، وأنه عندما فعل ذلك قد اتخذ صورة الملك السابق لهذا الغرض (أي عندما اجتمع بأمر الملك الحاكم). وعلى ذلك فإن «أمون رع» كان يضعه بموافقة الآلهة الآخرين المتحمسين له على عرش الملك، ويقرر له حكمًا طويلًا مزدهرًا. ولا نزاع في أن هذه الأساطير الدينية والتقاليد الفرعونية كانت تساعد على توطيد مكانة الفرعون. ولكن القواعد الحقيقية الثابتة التي كانت تعتمد عليها قوته هي سيطرته على أداة الحكم، بما في ذلك الجيش والشرطة، فنجد الملكة «حتشبسوت» المغتصبة للملك بعد أن بقيت عدة سنين وصية على عرش الملك الشرعي «تحتمس الثالث»، الذي لم يكن قد بلغ أشده بعد؛ قد دفعت به إلى الوراثة وأقصته عن الحكم عندما شعرت أنها قد أصبحت موطدة القدمين، وفي قبضتها زمام الحكم، وقد بقي الملك الشرعي في عزلة طوال مدة حكمها. ويلاحظ أن «حتشبسوت» لم يكن في مقدورها أن تعلن نفسها «بنت أمون رع» إلا بعد أن أصبح زمام الحكم في يدها، ولا نزاع في أنه لم ينكر أي إنسان حقها علنًا

^{١٣} راجع: Pap. Turin. 2021 Published by Cerny & Peet, J. E. A. Vol. XIII (1927) Pl. XIV & p. 32; Seidel Einführung in die Aegyptische Rechtsgeschichte bis zum Ende des Neuen Reiches Vol. I Juristischer Teil Aegyptologische Forschung. Heft 10, herausgegeben Von Alexander scharif (Gluckstadt and New York (1939) p. 20)

في أنها إلهة مدة حياتها، غير أن الإنسان يتساءل بشيء من العجب والدهشة: كم من معاصريها كان يعتقد فعلاً في إلهيتها؟ إن النفاق والخوف والأحزاب قد لعبت دوراً عظيماً في ذلك، ولكن في نهاية الأمر تمكن الفرعون الشرعي «تحتس الثالث» من أن يستولي على العرش؛ لا لأنه كان صاحب الحق الأعلى في ادعاء الإلهية؛ بل في الواقع لأن موت «حتشبسوت» قد أزال من أمامه العقبة الإنسانية الحقيقية. وأهم من ذلك موضوع الملك المصلح «إخناتون»، الذي كان في مقدوره أن يمحو عبادة الأوثان التقليدية، ثم غير لقبه الإلهي بطريقة تخطئها المعرفة وينكرها الشعب. ولكن مع ذلك بقي يحكم حتى يوم مماته. والواقع الذي لا لبس فيه أن إلهية الفرعون كانت تركز على قوته هو على الحكم على الرغم من أن النظرية الرسمية كانت على العكس مما فعله «إخناتون».

وقد كان بجانب الفرعون الإلهي الذي كانت قوته تركز على الخدمة المدنية والجيش، ورجال الشرطة بطبيعة الحال عدد عظيم من الآلهة الآخرين في مصر، وكان بعضهم — أو كهنتهم — يأخذون بنصيب في حكومة مصر من وقت لآخر، وذلك بوساطة الوحي الذي كان — على ما يظهر — يعدُّ بمثابة قانون ينطق به الإله، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في مناسبات عدة وسنتحدث عنه بعد، غير أن الجزء الذي كان يلعبه الوحي في حكومة البلاد ضئيل؛ ولذلك سنناقش أولاً العناصر القانونية الإنسانية في حكومة البلاد. والظاهر أن وضع القوانين كان من اختصاص الفرعون وحده. وتدل شواهد الأحوال على أنه لم يكلف أي فرد أو جماعة بالقيام بهذا العمل. وكان ينوب عن الفرعون في تنفيذ أعماله القضائية والإدارية جماعة كبيرة جداً منظمة من الموظفين، وكان المصريون على علم تام بالفرق بين الوظائف الإدارية والوظائف القضائية، ولكن يظهر أنه في عهد الإمبراطورية كانت الوظائف القضائية يقوم بأدائها في العادة رجال كانت أعمالهم الأصلية إدارية الصبغة؛ وكان التفويض في الأمور الإدارية والقضائية بطبيعة الحال مرخصاً به من أكبر وظيفة إلى أقل وظيفة، أي من الفرعون إلى أكبر موظفيه في الدولة، ومن هؤلاء إلى مرءوسيهم الصغار.

وقد كانت خدمة الحكومة تنقسم قسمين، وهما: نوع النشاط الذي يقوم به الأفراد، والبيئة الجغرافية. فمن جهة كانت توجد مصالح في الإدارة الرئيسية كالخزانة الملكية، ومخازن الغلال الملكية، وقد كان عملها في مصر كلها، ويحتمل أنه كان يمتد كذلك إلى الإمبراطورية كلها. ومن جهة أخرى كانت البلاد مقسمة أقساماً إدارية كل منها كان له أعضاء حكومته المحليين، وإن كان هؤلاء تابعين للحكومة الرئيسية من كل الوجوه.

ومما يلفت النظر أنه في عهد الإمبراطورية لم يكن في العادة يوجد موظف واحد بعينه تحت سلطة الفرعون يقبض على زمام الحكم في كل أنحاء البلاد، وفي كل مصالح الحكومة في وقت واحد، إلا في عهد كل من الدولتين القديمة والوسطى؛ فكان الوزير يمثل هذا الموظف الذي كان يقبض على كل السلطة. ولكن في عهد الدولة الحديثة كان يوجد عادة وزيران: واحد منهما للوجه القبلي، والآخر للوجه البحري؛ ويحتمل أن كلاً من هذين الوزيرين كان يقوم في الإقليم الذي يسيطر عليه بكل الأعمال العامة ولا يخضع إلا للملك. وليس من المؤكد أن واحداً من الوزيرين كان له أية سلطة في «بلاد النوبة» (حيث كان يوجد بها نائب من قبل الفرعون يحكمها وكان — على ما يظهر — مسئولاً مباشرة أمام الفرعون) أو في آسيا. ومن حقنا أن نشك في أن الفرعون قد قصد ألا يجعل لأي فرد معين من رعيته حق تمثيل السلطة الملكية في كل مكان، وفي كل حال من الأحوال.

وقد كان في كل بلدة كبيرة جماعة منظمة تنظيمياً غير محكم تعرف «بالمجلس» (قنبت) كما كان فوق هذه المجالس «مجلسان عظيمان»: أحدهما في «طيبة»، والآخر في «هليوبوليس»؛ ويرأسهما الوزيران بالتوالي، أي إن أحد المجلسين العظيمين كان في الوجه القبلي ومقره «طيبة»، والآخر في «الوجه البحري» ومقره «هليوبوليس». وليس من المؤكد أن هذه المجالس كما هي كانت تؤدي وظائف إدارية، غير أنه من المؤكد أنها كانت تعقد بمثابة محاكم قضائية لتفصل في القضايا الجنائية، وفي بعض الأحيان كانت تفصل بسلطة قضائية في المسائل الإدارية. ويلاحظ هنا أن كل عضو من أعضاء المجلس كان في غالب الأحيان من الرجال الذين كان عملهم الأصلي إدارياً. وعلى ذلك فإن هذه المجالس لا بد كانت تميل إلى وضع حد بين الأعمال الإدارية والقضائية.

وعندما كانت أسماء أعضاء المجلس توضع في قائمة، فإنها كانت — غالباً — يوضع لها العنوان التالي: «مجلس هذا التاريخ» مما يشعر أن تأليف هذا المجلس كان يغير من يوم إلى يوم. وفي إحدى الجلسات القضائية التي يحتمل أنها كانت خاصة بمصالح لمعبد الإلهة «موت» بالكرنك (راجع مصر القديمة ج ٦) كان يرأس المجلس الكاهن الأكبر «لامون»، ولا تحتوي إلا على كهنة فقط — إذا استثنينا المسجل الذي كان يحمل لقب «الكاتب المسجل لمجلس طيبة» — ولدينا مجالس أخرى تشمل موظفين خارجين عن هيئة رجال الدين، أو كانت تتألف من كهنة وموظفين مدنيين معاً.

ويخيل إليّ أن معابد الآلهة يجب أن تعد مصالِح ضمن الإدارة الملكية، فقد كان الفرعون — نظرياً — هو الذي يؤدّي الشعائر اليومية العادية في جميع معابد مصر، وعلى ذلك فإن الكاهن الذي كان يقوم بأداء هذه الشعائر فعلاً إنما يقوم بها على أنه ممثل للفرعون. وقد وُجِدَت هبات المعابد — في الظاهر — لأجل المساعدة على القيام بهذه الشعائر، وهي الخدمة الدائمة التي كان يؤديها الفرعون لأبائِه المقدسين وأمّهاته، ولآلهة الدولة العظام وإلهاتها.

والواقع أن الكهنة والموظفين الآخرين التابعين للمعبد كانوا عمال الفرعون كما كان ضباط الجيش، أو جباة الضرائب. وعلى قدر ما يمكن الحكم به كان للفرعون من السلطة في عزل وتنصيب رجال الدين كالتي كانت له في مصالِح الحكومة الأخرى. حقاً نعلم أن بعض رجال الدين كان لهم الحق في أن يورثوا أبناءهم وظائفهم، غير أن ذلك كان ينطبق على مصالِح حكومية أخرى.

ولا نزاع في أن أغنى طوائف الكهنة — وبخاصة كهنة «الكرنك» للإله «أمون رع» ملك الآلهة — كانت تعد خطراً عظيماً على فرعون نفسه. والفرعون القوي الشكيمة كان يقبض — عادة — على زمام رجال الدين تماماً، وبنفس الطرق التي يدير بها زمام بيته أو جيشه. ومن المعلوم أن فراعنة الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين، قد وهبوا عطايا ضخمة للمعبد الكبير الخاص «بأمون رع» ملك الآلهة في «الكرنك»، وهذه العطايا تشمل أرضاً زراعية، ومناجم ذهب، وأنواعاً أخرى من الضياع الحقيقية وكذلك العبيد بأعداد ضخمة من الذين أُسروا في الحرب، أو استولى عليهم من البلاد التي فتحت بحد السيف، وقطعاناً عظيمة من كل نوع، وسفنًا تجري في النيل، تَمَحَّرُ عِبَابَ البحر، وأثاثاً للمعبد، ونسيجاً، وحبّاً، ونبيداً، وجعة، وأمتعة خفيفة الحمل مختلفة أشكالها، ومصانع كانت تصنع فيها مواد عديدة. وقد كان من الواضح تماماً أن «أمون رع» ملك الآلهة لا بد أنه كان أغنى مالك في مصر إذا استثنينا الفرعون في كل العصر الذي نتحدث عنه.

ويلاحظ كثيراً أن الباحثين المحدثين يذكرون — دون أدنى تردّد — أن كل أملاك المعبد في مصر كانت معفاة من كل الضرائب، وقد برهننا على أن هذا الزعم خاطئ، وأنه لا ينطبق على كل عصور التاريخ المصري (راجع «عهد رمسيس الخامس») وأن ورقة «فلبور» تقدم لنا براهين إيجابية على أن هذا الزعم لم يكن صحيحاً في عهد «رمسيس الخامس» حوالي سنة ١١٥٠ ق.م. وهذا التاريخ على حسب ما جاء في النقوش

والمخطوطات المصرية يوحي أن الحكومة الفرعونية، كانت في هذا الوقت فقدت سلطانها على رجال الكهانة العظام على وجه التقريب. ويدل وجود المراسيم الفرعونية التي منحت امتيازات إدارية وإعفاءات لمعابد معينة، على أنه لم يكن هناك قانون عام يمنح مثل هذه الامتيازات والإعفاءات لكل المعابد. ولم يصلنا مرسوم سليم عن مثل هذه الامتيازات والإعفاءات من عهد الإمبراطورية إلا مرسوم واحد هو مرسوم «نوري»، الذي أصدره «سيتي الأول»، (حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م) وهو يقضي بحماية المصالح النبوية لمعبد معين في «العرابة المدفونة» (راجع مصر القديمة ج٦). ولست متأكدًا من أن هذه الوثيقة الطويلة المحكمة الوضع قد ذكرت حتى الضرائب، وهي بلا نزاع لا تحرم قطعًا تجنيد هيئة عمال المعبد للعمل في السخرة، بل كل ما تقصه أنها تحرم القبض على أفراد عمال المعبد، ونقلهم من إقليم إلى آخر للقيام بأعمال السخرة، وكذلك تمنع عمال الفرعون سرقة ماشية المعبد، أو القبض على سفن المعبد لاستعمالها في غير ما خصصت له، أو التدخل في شئون عمال المعبد وغيرهم من الموظفين في تأدية واجباتهم. وبالاختصار فإن ما جاء في مرسوم «نوري» هو التعهد بالمحافظة على تنفيذ نظام خاص ضد طائفة معينة من الأعمال التعسفية والإجبارية، التي تحفظ من جورها الآن كل الحكومات المتمدينة جميع المنظمات، والمدنيين، والرعايا بدون استثناء. على أن ما يفهم من «مرسوم نوري» ليس ضعف الحكومة الفرعونية، بل قوتها، وأحيانًا صبغتها الاستبدادية؛ إذ كان من المفهوم ضمناً أن هؤلاء الذين لم يُحموا بصفة معينة بمثل هذا المرسوم قد ينتظرون ألا تؤخذ ماشيتهم وسفنهم وحسب، بل يقبض كذلك على أشخاصهم عمال الفرعون، ويساقون لمدة غير محددة إلى السخرة.^{١٤} ومن المحتمل أنهم كانوا يساقون إلى جهات مختلفة بعيدة عن الإمبراطورية، وذلك إما للعمل في فلاح الأرض، أو للخدمة العسكرية، أو لأي غرض آخر يمكن أن يوجههم له أي موظف صغير من موظفي التاج.

ومن جهة أخرى لدينا براهين قاطعة نرى منها أن الفرعون ووزيره وموظفين آخرين، كانوا يقومون بالمراقبة — إلى درجة ما — على الشئون الاقتصادية للمعابد على الأقل. وكانت الحكومة تقوم بتعيينات في بعض الأحيان في أعلى وظائف الكهانة وفي أدناها.

^{١٤} وقد استمرت أعمال السخرة في مصر حتى عهد قريب جدًا وبخاصة عند زيادة الفيضان.

والآن، نعود إلى موضوع الوحي. وسنأخذ هنا على سبيل الإيضاح مثالين، أحدهما عن سؤال إداري، والآخر عن حالة صغيرة جدًا خاصة بسرقة: كان على «رعسيس الثاني» في السنة الأولى من سني حكمه أن ينتخب كاهنًا أكبر جديدًا للإله «آمون» بمعبد «الكرنك» أي: موظفًا جديدًا لأهم منصب كهانة في مصر (راجع مصر القديمة ج ٦).

وقد وضع «رعسيس» على حسب قوله أمام الإله أسماء كل موظفي البلاط الفرعوني: قائد الرديف، ورؤساء الكهنة، وأشرف معبد «آمون» نفسه. وقد انتخب نفسه شخصًا يدعى «نب وننف»، الذي لم يكن حتى ذلك الوقت عضوًا من كهنة «طيبة»، بل كان الكاهن الأكبر للإلهة «حتحور» صاحبة «ندرة» والكاهن الأكبر للإله «أنحور» صاحب «طينة» والمشرف على كهنة الآلهة. ما بين «طينة» و«طيبة». وهذه الوظائف كان يشغلها والده من قبله، وعلى ذلك نصب «رعسيس» «نب وننف» كاهنًا أكبر «لآمون»، وأمره أن يضع ابنه في وظائفه، وهي الوظائف التي كانت خاصة بالأسرة. وفي هذه الحالة ليس لدينا أي شك في أن الفرعون هو الذي عين الكاهن الأكبر الجديد «آمون»، وهو الذي انتخبه أيضًا. أما موضع الوحي فلم يكن ترتيب أمره من الصعوبة أكثر من ترتيب أخذ الأصوات في الانتخابات العامة الآن. أما المثال الثاني فيرجع تاريخه إلى منتصف الأسرة العشرين، أي أكثر من مائتي سنة بعد المثال الأول (راجع تفصيل هذا الموضوع في هذا الكتاب «عهد رعسيس الرابع» ... إلخ).

وموضوعه أن خمسة رداءات سرت من خادم يدعى «أمنويا». وقد رفع الخادم المجني عليه شكواه إلى أحد الآلهة الصغار في «طيبة» يدعى «آمون» صاحب «بخنتي»؛ ليكشف له عن اسم اللص. وقد قبل الإله أن يفعل ذلك، وعلى هذا ذكر أمامه «أمنويا» أسماء سكان القرية، وعندما ذكر اسم المزارع «بتوم دي آمون» هز الإله رأسه كأنه أراد أن يقول: «إنه سرقها». وعندئذ قال المزارع «بتوم دي آمون» للإله: «إن هذا كذب، إنني لم أسرقها». وعلى ذلك صار الإله في شدة الغضب.

وفي فرصة أخرى لجأ المزارع المتهم «بتوم دي آمون» إلى إله آخر صغير في «طيبة» أيضًا، غير أن هذا الإله بدوره هز رأسه كأنه أراد أن يقول: «إنه أخذها. فقال المزارع مرة أخرى: «إن هذا كذب.» وقد غضب هذا الإله — كسابقه — غضبًا شديدًا؛ لأن رجلًا قد أعلن الإله أنه لص بلغت به القحة أن يؤكد براءته ويكذب الإله في آن واحد. وبعد ذلك وقف المزارع المتهم مرة أخرى أمام «آمون» صاحب «بخنتي» وهو إله قريته الذي اتهمه

في بادئ الأمر، ثم لجأ المزارع للإله قائلاً: تعال إلى «يآمون» صاحب «بخنتي» يا سيدي الطيب المحبوب؛ هل أخذت أنا الملابس؟ وعندئذ هز الإله رأسه مراراً عدة كأنه أراد أن يقول: «إنه أخذها».

وبقية سجل القصة ليس واضحاً تماماً كما ذكرنا ذلك في مكانه. ويحتمل أن المزارع المتهم اعترف بالسرقة. وعلى أية حال فإنه — في أغلب الظن — عوقب من أجل السرقة، غير أنه لا يمكنني أن أشك في أنه كان بريئاً. ولا نزاع في أن إثبات تهمة المزارع كما جاءت على لسان «آمون» كان قد عملها بالفعل — بطبيعة الحال — كاهن أو جماعة من الكهنة. وليس لدينا شيء يوحي بأن الكهنة كان لهم علم بالموضوع. والظاهر أنه لا يوجد أي برهان من أي نوع يمكن أن تستند عليه محكمة حديثة، بل على العكس نلاحظ أن المزارع قد سلك مسلك رجل طاهر الضمير، وإذا كان قد اعترف نهائياً فإنه لا بد قد فعل ذلك تحت تأثير عامل نفسي ثالث يخفيه في قرارة نفسه، أو أن المشاع في القرية أنه هو الذي سرق، وقد بنى الكهنة اتهامه على ذلك دون وجود دليل مادي لديهم.

وهذان المثالان عن الوحي معاً يفسران — على ما يظهر بوضوح — مقدار قوة الوحي أو عدم قوته خلال الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، إذ إنه كان من الممكن أن يكون حكمه فعلاً حاسماً في قضية صغيرة، تشمل فقط مصالح رجل من الطبقة الدنيا. ولكن عندما يكون لمصالح الحكومة دخل، فإن الفرعون «يرتب» الوحي — بلا شك — كأنه أمر عادي، كما كان يرتب — بالضبط — وضع أعظم الأقاليم الخيالية في سجلات أحكامه الرسمية. ولدينا مثال طريف لذلك في قصة الوحي التي تتحدث عن تهمة الكاهن «تحتمس» باختلاس متاع الإله «آمون»، وقد دُوِّنت في الكرنك في عهد «بينوزم الثاني» كما سيجيء بعد.

وقد كان الميدان الوحيد الذي يُرضي مصري عهد الإمبراطورية صاحب المطامع للعمل فيه هو فروع الخدمة العامة، أي الإدارة المدنية والكهانة وغير ذلك من خدمات المعبد ثم الجيش. وليس لدينا علم عن رجال كَوَّنوا أنفسهم يقومون بالعمل في تنمية ثروتهم الخاصة، أو تقوية مهاراتهم الفنية خارج الخدمة العامة. حقاً إن لدينا برهاناً يخوّل لنا أن نعتقد أن الأراضي الخاصة بقضية «مس»^{١٥} الشهيرة كانت ثروة في ذاتها للمدعي

^{١٥} راجع: The Inscription of Mess. p. 20 Note 54 & p. 25

الناجح، وكذلك لدينا برهان آخر يخول لنا أن نعتقد أن هذا المدعي الناجح كان صاحب قطعان ماعز خلال القضية، كما كان — بعد القضية — يحمل لقب «كاتب الخزانة».

وهذا التغيير في الألقاب الذي يصحبه الغنى المفاجئ أمر يلفت النظر، غير أنه — مع ذلك — لا يمكننا أن نبني على ذلك نظريات عامة؛ لأن الموضوع ليس مؤكداً بل يعدُّ مثالاً فردياً. حقاً إننا نعلم وجود ملكيات خاصة إلى حد ما، غير أنه لا يمكننا أن نعين حدودها، فقد كانت الماشية والعبيد والأراضي تباع وتشتري بين الأفراد عامة، وحتى ذلك كان يجري بين أفراد غاية في الضعة كالراعي «مس» في عهد «أمنحتب الثالث» و«أمنحتب الرابع»، كما كان في مقدور ملاك العبيد أن يؤجروا خدمة عبيدهم لآخرين.^{١٦}

وقد كان الراعي «مس» في زمنه يعدُّ صاحب أملاك بين جيرانه، فقد كان صاحب ماشية للبيع. ومن المحتمل أنه كان ينمي ثروته من سنة إلى أخرى بالمساومة الحاذقة. ولا شك في أن بذور القيام بالمشروعات كانت موجودة في مثل هذا العمل، غير أن البذور لم تنم — على ما يظهر — في عهد الإمبراطورية. ويخيل إليّ أنه بين إنتاج الأسر الفردية من جهة، وبين الإنتاج العظيم الذي تنتجه المعابد ومصالح الحكومة من جهة أخرى، لم يبقَ مجال كبير لقيام الأفراد بمشاريع في التجارة أو الصناعة. وعلى أية حال فإن فقرنا في المصادر لا يعيننا على الجزم في مثل هذا الموضوع.

وفضلاً عن وجود أفراد مثل الراعي «مس»، الذي كان يشتري ويبيع لحسابه، فإنه كان يوجد تجار يقومون بأعمال تجارية بمثابة عملاء لمؤسسات دينية كبيرة (ورقة هاريس ص ٤٦ سطر ٢ مصر القديمة ج ٧). ولا نعلم شيئاً عن «تجار المعبد» هؤلاء غير وجودهم. والظاهر أن تجارتهم في بعض الحالات على ما يظهر كانت دولية في مجالها (راجع منشور نوري ج ٦ ص ٨٨).

وفي أحوال أخرى نقرأ في المتون كلمة «تجار» دون أن نعلم إذا كانوا يتجرون لحسابهم أو بعض المعابد أو المصالح الحكومية، فنجد مثلاً في «ورقة بولاك» رقم ١٧ ١١ صفحة من كتاب حسابات من عهد الأسرة الثامنة عشرة سُجل فيها توريد لحم وخمر وفتائر للتاجر «منخت»، وللتاجر «شري بين» فتسلم «منخت» واردات في عشر حالات

^{١٦} راجع: Gardiner: Four Papyri of the 18th Dyn. from Kahun (A. Z. XLIII (1906). p. 27-47. & Pls. 1-3).

^{١٧} راجع: Revue de l'Égypte Ancienne Vol. 1 (1927) Pls. III-IV.

على أقل تقدير في مدة أربعة عشر يومًا. وكانت الكميات التي يتسلمها صغيرة دائمًا كالتي يمكن أن يصرفها أصحاب الحوانيت الصغيرة، أو الباعة الجائلون الذين يحملون تجارتهم من باب إلى باب. وأصناف البضائع التي كانت تباع وهي اللحم والنبيد والفظائر، توحى بأن تاجرنا لم يكن يبيع سلعه إلا لأصحاب اليسار لا إلى الفقراء من الناس. وقد كانت بعض الأراضي الزراعية يملكها أفراد من الشعب، وكان من الممكن أن تنتقل من شخص إلى آخر إما بالوراثة أو بالبيع. ومثل هذه الأراضي كانت تدفع ضرائب للتاج، غير أنه لا يمكن أن نفهم أن أي التزام عام آخر مثل السخرة، أو الخدمة العسكرية كان من الضروري أن يكون له علاقة بملكيات كهذه.

ولا نعلم إذا ما كان مقدار الأرض التي يملكها الأفراد خلال الإمبراطورية كبيرًا لدرجة تجعله ذات أهمية اقتصادية كبيرة أم لا.

والواقع أن التاج كان يملك مساحات شاسعة من الأرض، وكذلك كان للمعابد ضياع عظيمة. وكانت أراضي التاج وأراضي المعبد تقسم عادة مساحات كل منها تحت إدارة المعبد (راجع ورقة فلبور). وفي مثل هذه الحالات كان الموظف المسئول يسكن على مسافة بعيدة من الأرض التي تحت إدارته، ومثل قطعة الأرض هذه كان لها أولاً مالك غائب (وهو الفرعون أو الإله). وثانيًا كان لها مدير غائب، وهو الذي وُكل إليه إدارتها. وإذا سارت كل الأمور — فيما يخص هذه القطعة من الأرض — على ما يرام، فإن مديرها الغائب كان ينتظر بطبيعة الحال كسبًا عظيمًا فوق مقدار الحَب الذي كان يورد إلى الفرعون، غير أنه كان يحدث أحيانًا أن الفلاحين يفرون من سوء المعاملة، التي يلاقونها على أيدي رؤسائهم المباشرين كما كانت الحال في مصر الحديثة إلى زمن غير بعيد (وحتى الآن نجد مع بعض الملاك الرأسماليين يتقاضون إيجارهم من الفلاح، سواء أأننتجت الأرض أم لم تنتج بشتى الطرق).

ويمكن أحيانًا أن يجندوا لعمل حكومي في مكان آخر مجاور أو حتى في جزء آخر من مصر. وما يحدث من جراء ذلك يترك لخيالنا.

وقصارى القول: إن حكومة الدولة المصرية كانت فردية بيروقراطية مركزية من حيث المبدأ، وكانت — إلى حد كبير — مركزية عمليًا. ولا نزاع في وجود مشاحات من أجل المنفعة بين العناصر المختلفة في الحكومة البيروقراطية، التي تتألف من مصالح مختلفة تكاد كل منها تكون مستقلة عن الأخرى ولا تجمعها مسئولية واحدة. ولدينا أدلة تدل على أن الفرعون كان يستخدم هذه المشاحات ليخدم مصالح الأسرة الحاكمة، ويلاحظ أن كلاً

من طائفة الكهنة والجنود قد أصبح ذا أهمية عظمى في القرون التالية، ويمكن رؤيتهما تنمو منذ نشأتها. وفي خلال نصف القرن الأخير من عهد الإمبراطورية تجد أن كلاً منهما منغمس في اضطرابات خطيرة، مما ساعد على سقوط الأسرة العشرين، وتصدع أركان الإمبراطورية. ونرى من كل هذا أن الرجل العادي — على ما أعتقد — لم يكن لديه من القوة ما يهيئه للتعبير عن آرائه في الحياة السياسية أو الاقتصادية؛ لأن الأحوال لم تكن قد هُيئت له بعد لظهوره في معترك الحياة، وهو يحمل في نفسه شيئاً من الاستقلال الذاتي، أو الصفات التي تؤهله لبلوغ ذلك. وقد يرجع السبب في هذا أولاً لنظام الحكم الذي كان سائداً في هذه الفترة من تاريخ البلاد، وكذلك إلى تربيته على الخضوع له، وإن كان أحياناً قد يثور على هذا النظام بسبب الجوع والفقر، كما أوضحنا ذلك في مكانه عند التحدث على إضراب العمال في عهد «رعمسيس الثالث»، وعندما قام العمال — وحتى رجال الدين — بنهب المقابر الملكية وغيرها إلى درجة تدعو إلى الدهشة والعجب من شعب وديع كالشعب المصري، ولكن الفقر كافر والجوع أشد منه كفرًا.

الأسرة الواحدة والعشرون

مقدمة

لقد انتهت سيادة مصر في الشرق باختفاء آخر رعامسة الأسرة العشرين. وسنرى أن أربعة القرون ونصف القرن التي تلت سقوط هذه الأسرة حتى قيام الأسرة «الصاوية» كانت كلها فترة اندفاع نحو الهاوية، التي كانت تنحدر إليها بلاد مصر وسلطانها. وإذا استثنينا بعض حالات معينة في فترات محددة فإن الفراعنة الذين سنتناول الحديث عنهم هنا في عاصمتهم، سواء أكانت في «الدلتا» أم في «طيبة» لم يكن لديهم من القوة والجاه ما يميز عهود حكمهم بالمباني الفخمة، أو بالحروب المظفرة.

وسنرى أن السلطان العالمي الذي كانت تتمتع به «طيبة» وإلهها «أمون رع» ملك الآلهة لم يعد يعترف به خارج حدود مصر الطبيعية، كما أنه لن يتدفق على خزانة بلادها جزية البلاد الأجنبية إلا في حالات عابرة، حيث نجد أن بعض المال كان يُرد إلى خزانة الكهنة العظام، وما ذكر غير ذلك فهو من نسج الخيال.

وهذا الانحطاط السياسي والحربي كان من نتيجته الطبيعية ركود اقتصادي جر وراءه تأخرًا في الفن وفي كل الصناعات.

وتاريخ الأسرة الواحدة والعشرين غامض حتى الآن على الرغم من الكشوف الحديثة، التي عثر عليها في «تانيس» (صان الحجر) حديثًا، ومع ذلك فإن فحصها قد يظهر شيئًا جديدًا لم يكن في الحساب أن يتم بعد، إذ الواقع أننا لا نعرف إلا القليل عن تاريخ هذه الأسرة السياسي وحسب، بل إن عدد ملوكها وترتيبهم لا يزال من الأمور التي تحتاج إلى تمحيص وإثبات. وقد لفت تاريخ هذه الأسرة أنظار علماء الآثار فترة من الزمان بصفة

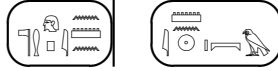
خاصة، وذلك على أثر العثور على خبيئة «الدير البحري»، التي وجدت فيها موميات عدد عظيم من ملوك الدولة الحديثة، وقد كان الفضل في إخفاء موميات هؤلاء الفراعنة يرجع إلى إصلاح الكهنة العظام «لأمون»، الذين عاشوا في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، فقد جمعوا هذه الموميات وأعادوا إصلاح ما هُشم منها، وبعد أن حاولوا عبثاً دفنها في مخابئ أخرى أودعوها في نهاية الأمر في هذا المكان الخاص إلى أن عثر عليها للصوص المحدثون. وقد كان لعمل هؤلاء الكهنة العظام نتيجته الحسنة في كشف النقاب عن الكثير من تاريخ هذه الأسرة الغامض، وذلك أن هؤلاء الكهنة العظام دونوا كتابات قصيرة على لفائف هؤلاء الملوك وتوابيتهم التي أودعت فيها مومياتهم، وتدل هذه الكتابات على مقدار عنايتهم بهذه الموميات وما عمل لها من إصلاح في أكفانها، ويرجع الفضل إلى هذه الكتابات أكثر من أي شيء آخر في الوصول إلى ترتيب هؤلاء الملوك على حسب تواريخهم، وقد قام بهذا العمل العظيم — بنجاح — العالم الأثري «مسبرو»^١.

والمطلع على أبحاث «مسبرو» في هذا الصدد وما وصل إليه، يجد أن ما كان معلوماً عن هذه الأسرة لا يخرج عن معلومات مرتبكة تدعو إلى اليأس، هذا فضلاً عن أن الحقائق التي عرفت بعد بحثه — وهي التي استخرجت من البحوث الأثرية — قد زادت في تعقيد الصورة التي وصل إليها «مسبرو» بدلاً من السير في توضيحها.

ولما كانت نقوش موميات «الدير البحري» هي أهم النقوش التي وصلت إلينا عن تاريخ هذه الأسرة، فلا عجب إذن أن نرى علماء الآثار قد قتلوها بحثاً؛ ليستخرجوا منها كل ما يمكن استخراجه عن تاريخ هذه الأسرة الغامض، ولعل الكشوف الحديثة التي عملت في منطقة «صان الحجر» توصل إلى معلومات تكشف لنا النقاب عن بعض معميات تاريخ هذه الأسرة (راجع Cerny J. E. A. Vol. 32 p. 24 ff).

^١ راجع: Les Momies Royales de Dier el Bahri Memoires de la Mission Archeologique Francaise au Caire Tome, 1 fasc. 4 (1889).

حريحور



تحدثنا فيما سبق عن الخطوات التي أدت إلى اعتلاء «حريحور» عرش مصر، والظاهر أنه كان طاعناً في السن عند توليته العرش في «طيبة»، ولا نعلم — على وجه التأكيد — المدة التي مكثها فرعوناً على مصر، ومما تجدر ملاحظته هنا أن «مانيتون» لم يذكره بين ملوك هذه الأسرة، وعلى ذلك فإن سلطانه لم يكن معترفاً به إلا في إقليم «الطوبياد»، أي في الوجه القبلي، من أسوان حتى «أسيوط»، بل يقال: إنه كان يعدُّ دائماً تابعاً قوياً مستقلاً للفرعون «سمندس»، الذي كان قد اتخذ «تانيس» بالوجه البحري مقراً لحكمه. وليس لدينا من عهد «حريحور» سجلات مؤرخة، غير النقوش التي وجدت على تابوتي «سي تي الأول» و«رع مسيس الثاني».

فقد جاء على تابوت «سي تي الأول» ما يأتي: «السنة السادسة، الشهر الثاني من فصل الزرع، اليوم السابع، وهو اليوم الذي أرسل فيه الوزير والكاهن الأكبر لأمون رع» ملك الآلهة «حريحور»؛ ليجدد دفن الملك «من ماعت رع» (سي تي الأول) له الحياة والفلاح والصحة، ابن «رع من ماعت رع» له الحياة والفلاح والصحة، ابن رع «سي تي الأول مرنبتاح» على يد المراقب «حر-مأمّن-بنع»، والضابط «بارع-بايوتت»^١

^١ راجع: Gauthier, L. R. III p. 232; & Cat. Gen. Cercueils de Cachettes Royales No. 61019



شكل ١: صورة الملك «حريحور» من معبد «خنسو» بالكرك.

وجاء على تابوت «رعمسيس الثاني» ما يأتي: السنة السادسة، الشهر الثالث، الفصل الثاني، اليوم الخامس عشر، وهو اليوم الذي عندما أرسل الشريف ... الكاهن الأكبر «لامون رع» ملك الآلهة «حريحور». (راجع الكتابة الهيراطيقية التي على تابوت «رعمسيس الثاني»)^٢.

وقد وجد اسمه كذلك — بوصفه كاهناً أكبر «لامون» — على تمثال في صورة «بولهول» عثر عليه في معبد «موت» الذي أصلحه، كما يدل النقش الذي جاء على هذا التمثال: «التجديدات التي عملها الكاهن الأكبر «لامون حريحور»»^٣.

وفي «متحف ليدن» توجد لوحة باسم «حريحور» وزوجه «نزمت»، جاء عليها ذكره بوصفه القائد الأكبر للجيش، والكاهن الأكبر «لامون رع»، ملك الآلهة «حريحور» المرحوم.

^٢ راجع: Momies Royales p. 551, fig. 15, & L. R. III, p. 232.

^٣ راجع: Momies Royales, Ibid p. 661.

وقد مثل «حريحور» وزوجه «نزمت» على هذه اللوحة وهما يتعبدان للإله «أوزير»، والبقرة «حتحور» خارجة من الجبل الغربي المقدس.^٤
وجاء ذكر «حريحور» على ورقة «نزمت» الجنازية الموجودة بمتحف «اللوفر». (راجع A. Z. XVI (1878) p.29).
وتوجد في «متحف القاهرة» أنية من الفخار المطلي عليها اسمه.^٥

(١) أسرة الفرعون «حريحور»

زوجة «نزمت»

(١) وجد اسمها بمعبد «خنسو» على الجدار الأيسر للقاعة التي قبل المحراب.^٦
ويلاحظ هنا أن «نزمت» كانت تسير على رأس أولاد «حريحور» فهي إذن أمهم،
وليست بوالدة «حريحور» كما يظن البعض.^٧
(٢) ووجد اسمها في «لوحة ليدن» السابقة الذكر. وقد صوّرت هي وزوجها وكثير من أولادها.

(٣) وقد وجد لها تابوتان متداخلان في خبيثة «الدير البحري»، وكل منهما من الخشب المشغول المرصع بالخزف المطلي، وتحيط بالصندوق ورقة من الذهب عدا لباس الرأس وبعض التفاصيل. وقد صنعت الحروف الهيروغليفية والجزء الهام من زينته من الحجر الجميل ومن عجينة الزجاج المرصعة بالذهب، ويتألف من الزينة كلها منظر خلاب غني بالزخرفة التي لا يكاد يتصوّرها الإنسان. ولكن مما يؤسف له أن ما على التابوت من ذهب قد انتزع بالكشط، ولم يبقَ من الزينة إلا قطع بدائية. وهذا التخريب قد حدث في الأزمان القديمة، يدل على ذلك منظر الخشب والعناية التي بها احترم اللصوص الكتابات والصور المقدسة، وابتعادهم عن المساس بها. فقد اكتفى اللصوص القدامى بنزع الجعارين

^٤ راجع: Boeser: Beschreibung des Aegyptischen Sammlung etc. in Leiden t. VI (1913) 6.

.13, & Momies Royales p. 678

^٥ راجع: Von Bissing. Cat. Gen. Fayence Gefasse. Nr. 3795 p. 61

^٦ راجع: Champ. Not. II, pp. 228-229; Momies Royales p. 548

^٧ راجع: L. R. III, p. 231. Note 2

الكبيرة التي كانت على الصدر. وتدل الكتابة التي على الصندوق على أن صاحبتة الملكة «نزمت» كانت رئيسة الحريم الكبرى للإله «أمون» ملك الآلهة، والأم الملكية ربة الأرضين «نزمت»، ويبلغ طول موميته ١,٦٥ متر، وجدت مزملة، وعثر عليها للصوص المحدثون، كما تُبرهن على ذلك اللقائف والبردية التي انتزعت منها، ثم بيعت أجزاءها على ثلاث مرات. والجزء الأول منها موجود في «إنجلترا»، والثاني في «بافاريا» من أعمال ألمانيا، والأخير في «متحف اللوفر». ويقال: إن الأصل كان في يد ترجمان سوري حصل عليه في «الأقصر».^٨



شكل ٢: مومية الملكة «نزمت».

^٨ راجع: Momies Royales p. 512

وقد لاحظ «نافيل» أن اسم الملكة «نزمت» موضوع في طغراء، وأن اسم «حتحور» لم يوضع في طغراء؛ ولذلك ظن أنها والدته، وأنها من دم ملكي، ولكن شواهد الأحوال — كما ذكرنا — أثبتت غير ذلك، (راجع (A. Z. (1878) p. 29–32) وتوجد في «برلين» ورقة كتب عليها اسمها بالخط الهيراطيقي.^٩ وقد اشترت في «طيبة» ونشرها «إرمان».^{١٠} ومومية هذه الملكة تعد أول مومية في عهد الأسرة الواحدة والعشرين حنطت بطريقة خاصة تختلف عن التحنيط الذي كان يعمل في العصر السابق، إذ قد بدأ المحنط في خلال هذه الأسرة يعمل على حفظ كيان الجثة بكل الطرق حتى لا تشوه معالمها ولا تذهب عنها ملامحها ونضرتها، التي كانت تتمتع بها في الحياة الدنيا، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد (راجع (Elleot Smith & Dawsen Egyptian Mummies 102 ff).

أولاد «حريحور»

كانت أسرة «حريحور» وزوجه «نزمت» كثيرة العدد. والصورة التي في معبد «خنسو» يُشاهد عليها سلسلة من الذكور والإناث. وقد بلغ عدد الذكور ثمانية عشر، وعدد الإناث تسع عشرة، غير أن معظمهم قد مُحي بكل أسف. وهاك بعض الأسماء الباقية:

(١) أكبر الذكور يدعى «بيعنخي» ويحمل الألقاب: ابن الملك من جسده، محبوبه، ومدير البيت العظيم «لآمون»، وكاهن الإلهة «موت»، وكاهن الإله «خنسو»، والمشرف على جبل رب الأرضين، والمقدم «بيعنخي».^{١١}

(٢) «برع-آمن-ني-آمن»، ويحمل لقب: ابن الملك من جسده الكاهن الرابع ... وكاهن الإله «أنحور» في ...

(٣) «بانفر» ... ويحمل لقب: ابن الملك من جسده، والمشرف ... «لآمون رع»، ملك الآلهة «بانفر».

(٤) «مريف-أنف-آمون» (?) ابن الملك من جسده.

(٥) «أمن حرو نأمف»: ابن الملك من جسده.

^٩ راجع: Pap. hieratique du Musée de Berlin p. 10488, 10489.

^{١٠} راجع: Ermen. Ein Fall Abgekurzter Justiz in Aegyp. in Abhandlungen de l'Academie p. 3, 8, 11, 12 & 14.

^{١١} راجع: Momies Royales p. 678; L. L. III, p. 237-8.

- (٦) «تخوي» (؟): ابن الملك من جسده.
- (٧) «ماساهرتا»: ابن الملك من جسده.
- (٨) «ماساقهرتا»: ابن الملك من جسده.
- (٩) «با-شد-خنسو»: ابن الملك من جسده.
- والأسماء رقم (١٠، ١١، ١٢، ١٣) مُحيت.
- (١٤) «باك نتري»: ابن الملك من جسده.
- والاسمان (١٥، ١٦) قد مُحيا.
- (١٧) «رود-أمنتي» (؟): ابن الملك من جسده.
- (١٨) «نسي-يا-نفر-حر»: ابن الملك من جسده، والكاهن والد الإله «لأمون». وكذلك يحمل لقب «كاهن أمون» ورئيس كتاب معبد «أمون» ... إلخ.^{١٢}
- ويلاحظ في الموكب الذي في معبد «خنسو» حيث مثلت أسرة الفرعون أنه يوجد ما لا يقل عن تسع عشرة سيدة تحمل كل منهن في يدها صاجات وزهرة، والخمس الأوليات منهن مشفوعات بمتون غير أنها هشمت تماماً ولم يبقَ إلا جزء من نقوش الابنة الأولى.^{١٣}
- وقد جاء ذكر تابوت «حريحور» وموميته في كتاب «فلنדרز بتري» عن تاريخ مصر.^{١٤}
- وكذلك جاء ذكر هذا البناء على لسان «مسبرو».^{١٥}
- والواقع أن ما ذكره كل من هذين المؤرخين يشير إلى تابوت ومومية الملكة «نزمت» زوج «حريحور»، وهما اللذان عثر عليهما في خبيثة «الدير البحري»، ولا نعرف شيئاً مطلقاً عن موميته ولا عن تابوته.
- وسنذكر هنا أولاً الكهنة العظام «لأمون»، الذين كانوا يسيطرون على مصر العليا، ثم نذكر بعد ذلك الملوك الذين كانوا يحكمون في «تانيس». وسنضع أولاً قائمة بأسماء الملوك الذين حكموا في «تانيس» والكهنة العظام الذين كانوا في «طيبة»، وقد استتبعت هذه القائمة من الكتابات التي وجدت على لفائف موميات الملوك والكهنة. ومما يؤسف له جد الأسف أن أسماء الملوك لم تذكر في كثير من الأحوال.

^{١٢} راجع: Gauthier. L. R. III, p. 237 ff.

^{١٣} راجع: Ibid p. 240.

^{١٤} راجع: Petrie, Hist. of Egypt III, p. 195.

^{١٥} راجع: Momies Royales. p. 236, Note 1.

حريحور

قائمة بأسماء الملوك الذين حكموا في «تانيس» والكهنة العظام الذين كانوا في «طيبة».

أسماء الملوك	مدة الحكم		التاريخ التقريبي	الكهنة العظام
	مانيتون	الآثار		
(١) سمنس	٢٦		١٠٨٥-١٠٥٤	(١) «حريحور» (مغتصب)
(٢) بسوسنس	٤١	+١٧ س		(٢) «بيعنخي»
(٣) نفرشرس (نفركارع)*	٤		١٠٠٩-١٠٠٤	(٣) بينوزم الذي صار فيما بعد الملك «بينوزم الأول»
(٤) بينوزم الأول		+١٦ س		(٤) «ماساهرتا» (٥) «منخبر رع»
(٥) أمنوفتيس	٩	٤٩ (٩)	١٠٠٩-١٠٠٠	(٦) «سمنس»
(٦) أوسخور بسيناخي	٦ ٩	= «سيآمون +١٧ س	٩٨٤-١٠٠٠	(٧) «بينوزم الثاني»
(٧) بسوسنس الثاني	٣٥	+ ١٢ س	٩٥٠-٩٨٤	(٨) «بسوسنس»

* وترتيبه على حسب بحث «جرذلوف» يأتي بعد «سمنس» مباشرة.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه القائمة، وجدنا أن الآثار لا تسعفنا كثيرًا عن حكم هؤلاء الملوك والكهنة العظام، وأن التواريخ التي ذكرها «مانيتون» لملوك هذه الأسرة تقدر بنحو ١٢٤ سنة على حسب تقدير «أفريكانوس»، وحوالي ١٣٠ سنة حسب تقدير «يوزيب». وقد قدر «برستد» حكم هذه الأسرة بما لا يقل عن ١٤٥ سنة. وعلى أية حال فإن تاريخ الأسرة لا يزال معقدًا لقلّة المصادر الحاسمة في ذلك، هذا إذا استثنينا الملك «نفر كارع»، الذي كُشف عن اسمه حديثًا، وجعل ترتيبه العالم «جرذلوف الثاني» بدلًا من الثالث.

الكاهن الأكبر ببعنخي

تدل شواهد الأحوال على أنه على أثر وفاة «حريحور»، لم يكن في مقدور أسرته أن تحافظ على تاج الملك. ويظهر أن «سمندس»، الذي كان يحكم في «الدلتا» قد أصبح ملكًا على البلاد جميعها، كما سنرى بعد. غير أننا نجد أن وظيفة الكاهن الأكبر «لأمون» كانت في يد «ببعنخي»، ولم يكن يحمل لقب الملك مثل والده، ومع ذلك تدل النقوش على أنه كان هناك شبه رابطة بين شطري المملكة، كما سيتضح لنا هذا بعد؛ وكما قلنا من قبل: لا نعرف إلا النزر اليسير عن ملوك «تانيس»، وإلا ما كُشف عنه حديثًا وهو قليل في ذاته؛ وذلك لأن الآثار لم تكشف لنا عن كل أسماء ملوكها، ونجد صعوبة في ترتيب الملوك الذين عرفناهم فعلاً. وقد كانت دائرة نفوذهم تمتد جنوبًا حتى «أسيوط»، ولكن سيادتهم كان معترفًا بها في جنوب الوادي حتى «بلاد النوبة»، وقد كان ملوك «تانيس» يحافظون على بقاء سلطانهم بقوة وشدة، حتى إنه كان في مقدورهم — في حالات كثيرة — طرد كهنة «أمون» وإعادة سلطانهم — ولو إلى زمن قصير — في كل البلاد وجمع شملها. وكان يكفيهم للحصول على ذلك أن يستولوا على رئاسة الكهانة في «طيبة» بتعيين فرد من أسرته، وهذا هو نفس ما كان يحدث أحيانًا، عندما يخلو كرسي رئاسة الكهنة، ولكن ذلك كان لا يمتكث إلا فترة قصيرة. وقد كان ملوك «تانيس» يتخلون عن كرسي الكهانة بعد زمن قصير مفضلين أن يُملأ بأحد أعضاء أسرة «حريحور»، الذين كان لهم حق وراثته. والظاهر أن العادات والشعائر الدينية قد جعلت من الضروري وجود وظيفة الملك والكاهن معًا جنبًا لجنب. ويحتوى الكتاب الأول من مؤلف «ديدور» على صورة عن حياة الملوك (Didoros I, 70, 71) وهي بالإضافة إلى المعلومات التي جاءت في كتاب «هكاته الأبدري» الذي فُقد، والأسطورة التاريخية التي كتبها الأخير في هذا الصدد، وقد بقيت لنا، يظهر أنها قد أُلُفت من معلومات أخذت عن مصادر طيبية. وإذا قرنت ما جاء فيها

بالنقوش التي على الآثار وشعائر الأحفال الخاصة «بأمون»، دلت على أن الوصف المثالي الذي جاء في هذا المؤلف الخاص بحياة الملوك هو تكرار الخصائص الهامة بحياة الكهنة العظام الطبيعيين والنوبيين. وعلى ذلك فإن معظم التفاصيل الدقيقة التي نجدها هناك تنطبق على الكهنة العظام لا على الفراعنة بالمعنى الحقيقي.



شكل ١: لوحة الكاهن الأكبر «بيعنخي» (من العرابة المدفونة).

والواقع أن واجبات الكهنة العظام قد أصبحت معقدة جداً في عهد سيادة «طيبة»، وقد كانت التفاصيل الدقيقة التي لا بد من مراعاتها عند أدائها تشغل كل حياة الأشخاص الذين وهبوا حياتهم لإنجازها والقيام بأدائها. فقد كان عليهم أن يؤدوا شعائر يومية عديدة موزعة على ساعات النهار والليل المختلفة بطريقة لا تترك مجالاً للقيام بأي عمل آخر جديد دون أن يُغير على الوقت المخصص لراحة الجسم وحاجياته. فقد كان

الكاهن الأكبر يستيقظ كل صباح في ساعة معينة، وكانت له أوقات خاصة لتناول طعامه ورياضته، وللمقابلات، ولإقامة العدل، ولمباشرة الأمور الدنيوية، وللراحة مع زوجته وأولاده. وفي أثناء الليل كان يظل مستيقظاً أو يقوم في فترات؛ ليحضر الأفعال المختلفة التي كانت لا تؤدَّى إلا عند شروق الشمس. فقد كان مكلفاً بملاحظة كهنة «آمون» في الأعياد التي يخطئها العدُّ، وهي التي كانت تقام للآلهة، وكان لزاماً عليه أن يحضرها إلا إذا كان ثمة عذر شرعي قهري. ومن كل ذلك يتضح أنه كان من المستحيل على ملك غير ديني مثل ملك «تانيس» أن يخضع لمثل هذه القيود إلا إلى حد معلوم. ولا غرابة إذا نفد صبره أحياناً، كما أن عدم التمرُّن كان يؤدِّي إلى ارتكاب أخطاء أو ترك أشياء؛ مما يجعل الشعائر تفقد قيمتها. ولا شك في أن الأمور الدنيوية الخاصة بملكه — وبخاصة الإدارة الداخلية، والعدالة، والمالية، والتجارة، وشئون الحرب — كانت كلها تتطلب منه وقتاً كبيراً حتى إنه كان يضطر — بأسرع ما يمكن — إلى أن يجد لنفسه نائباً يؤدي واجباته الدينية. ومن ثم نرى أن مقتضيات الأحوال حتمت بقاء الكهنة العظام الطبيعيين بجانب ملوكهم فراعنة «تانيس».

والواقع أنهم كانوا مناهضين خطرين بما لديهم من ثروة وإقطاعات، وبسلطانهم الشاسع الذي كانوا يتمتعون به في مصر وبلاد النوبة، وفي كل المقاطعات التي كانت ميولها الدينية مع الإله «آمون»؛ ولذلك فإن «سمندس» لم يقف في وجه «حريحور»، عندما استولى على وظيفة الكاهن الأكبر، وأعلن نفسه فرعوناً على البلاد، بل على العكس أظهر له الولاء والودَّ.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا النزول كان شخصياً «لحريحور»؛ إذ نرى أن ابنه «بعنخي» لم يرث الملك، بل اكتفى بلقب «الكاهن الأكبر». وليس لدينا من آثاره غير ما ذكرنا من قبل إلا لوحة عُثر عليها في العرابة المدفونة^١ (انظر الشكل ١). وقد لقب فيها: حامل المروحة، والكاتب، والقائد، وأمير «كوش»، ورئيس الأراضي الجنوبية، والكاهن الأكبر «لآمون»، ورئيس الغلال، ورئيس الرماة. وقد مثل «بعنخي» على هذه اللوحة جالساً على كرسيه وفي يده زهرة يشمها، وعلى رأسه أخرى، وقد وضع أمامه مائدة عليها قربان وأزهار. وأمام وجهه نُقشت ألقابه السالفة الذكر. وفي الجزء المستدير من اللوحة رسم قارب الشمس، ونصب في وسطه محراب فيه صورة إله الشمس.

^١ راجع: Maspero Guide 47, Mariette, Abydos II, 57, L. DIII. p. 247; Petrie Hist. III p. 203

وقد جاء ذكره في معبد «خنسو» بوصفه رئيس كهنة «أمون» ملك الآلهة.^٢ وذكر في معبد «الأقصر» في ردهة التماثيل بوصفه الكاهن الأول «لأمون» ملك الآلهة، ومبعوث الأرضين، والمقدم «بيعنخي».^٣

والظاهر أنه لم يمارس وظائفه الدينية التي منحها إياه والده إلا مدة قصيرة، والآثار التي وصلت إلينا من عهده قليلة جداً. على أننا نجد اسمه بوجه خاص على آثار ابنه الأكبر الكاهن الأكبر «بينوزم» الذي أصبح ملكاً فيما بعد، وهو لا يحمل في هذه كذلك إلا لقب «الكاهن الأكبر».

ولم نجد له آثاراً قام بإنشائها في معبد «خنسو» أو غيره، ولم يذكر إلا بوصفه والد «بينوزم» الكاهن الأكبر والملك.

وقد وجد اسمه على كفن «رعمسيس الثالث» مما يدل على أنه قد أصلحه.^٤ ووجد اسمه على تمثال من البازلت في خبيثة «الكرك» باسم «بينوزم» ابن «بيعنخي».^٥

الورقة رقم (١٠٤١٧) بالمتحف البريطاني (وهي خاصة بالوحي): (راجع J. E. A. Vol. 12 p. 184 ff). ولدينا ورقة من عصر هذا الكاهن الأكبر نُكر فيها بوصفه قائداً. وقد كتبت في صورة خطاب جاء فيه: كاتب الجبانة العظيم الفاخر «تحتمس» (يكتب إلى الكاهن الملك (المؤله) «أمنحتب» — له الحياة والفلاح والصحة «أمنحتب» — في حياة وفلاح وصحة! إنني أقول «لأمون رع-حوراختي» عندما يشرق، وعندما يغيب، و«لأمون نست-تاوي»، وإلى «أمنحتب» له الحياة والفلاح والصحة. وإلى «نفرتاري» لها الحياة والفلاح والصحة، وإلى «أمون خنم حح» وتاسوعه، ليمنحوك الحياة والفلاح والصحة، وشيخوخة عظيمة وخطوات عديدة جداً في حضرة «أمون رع» ملك الآلهة، وفي حضرة القائد سيدك، ويعيدك «أمون نست-تاوي» بسلام، وأن نضمك إلى حضننا كل يوم.

وبعد: إنني أفهم كل الأمور التي كتبت لي عنها، أما قولك: اعتن بالكاتب «بوتهاي أمون» ومغنية «أمون» ملك الآلهة «شد متي» والصبية، هكذا تقول أنت فإن كل شيء

^٢ راجع: L. D. III, 251 a, b, e; Ibid 250 a & c.

^٣ راجع: Rec. Trav. XIV (1892) p. 32.

^٤ راجع: Momies Royales p. 565, 679.

^٥ راجع: Legrain, Cat. Gen. Stat. & Statuettes des Rois et Particuliers, II p. 60 N. 42191.

طيب من جهتهم، وإنهم أحياء اليوم، أما الغد ففي يد الله، وإنك أنت الذي تشتاق إلى رؤيته، وإني أقول «لأمون رع» ملك الآلهة: ليته يمنحك حظوة في حضرة القائد سيدك، وأن يرجعك «أمون» سالمًا، وأن أضمك سالمًا في حضني.

تأمل ... «أمون نست-تاوي» ينجيك، وإنك خادمه، وإني أضعك أمام «أمنحتب» له الحياة والفلاح والصحة عند كل احتفال به. وإني سأحميك وإني سأرجعك سالمًا، وستملأ عينك بالردمة (أي المعبد الذي فيه «أمنحتب»). هكذا تكلم (أي الإله) وقد أرسلت إليك لأعلمك. أرجو أن تكون صحتك طيبة، ولا تقطع أخبارك عني بأحوالك بوساطة أي شخص يكون آتياً إلى الجنوب حتى يصير قلبنا (مطمئناً) (؟).

حاشية لكاتب الجبانة «ثارري»: «لا تنشغل على «بنت حمشيري» فهي في صحة، ولم يصبها أي ضرر.»

وهذا الخطاب على ما يظهر هو أحد عدة خطابات من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، ولا بد أنها وجدت كلها معاً ضمن لقية واحدة.

وهذه الخطابات مبعثرة في متاحف أوروبا، وقد قام الأستاذ «سبيجلبرج» بنشر عدد منها في كتاب خاص سماه «مراسلات خاصة بزمن الكهنة الملوك»^٦ وتشمل أربعة خطابات كتبها الكاتب «تحتمس» الذي نحن بصده الآن. وقد جاء في هذه الخطابات وغيرها من التي في هذه المجموعة ذكر أسماء الأشخاص الذين جاءوا في هذه الخطابات. إلا اسم الكاهن «أمنحتب» الذي وجه إليه الخطاب، والذي كان في الدلتا وقتئذ، كما هو مشار إليه في السطر ٦ و٧، أو كان على الحدود الشمالية الشرقية لمصر. ومن المحتمل أنه كان على سفر من «طيبة» لعمل خاص بممتلكات المعبد، أو كان في حملة حربية يحمل رمزاً مقدساً، ويحتمل أن يكون ذلك تمثلاً صغيراً للإله «أمنحتب». وذكر كلمة قائد تجعل هذا الرأي الأخير محتملاً.

والقائد الذي ذكر في السطرين ٦، ٧ هو الأمير «بعنخي» بن الملك «حريحور»، وهذا الخطاب له أهمية من حيث الوحي، وبخاصة العبارة التالية: «إني أضعك أمام «أمنحتب» عند كل احتفال له، وإني سأحميك، وإني سأرجعك سالمًا، وإنك ستملأ عينك بالردمة.» هكذا يقول. وهذه الكلمات لا تعني إلا أنه عندما كان يحمل تمثال عبادة هذا الإله في حفل

^٦ راجع: Spiegelberg, Correspondence du Temps des roi-pretres

خلال أعياده أحضر «تحتمس» بطريقة ما صاحبه الغائب إلى ملاحظة الإله، وبخاصة أنه كاهنه، وأن الإله عندئذ كان يجيب على لسان أحد المستخدمين من أتباعه. وقد لاحظنا من قبل أن «أمحتب» صاحب الردهة هو اسم شكل خاص لهذا الإله. وبدهي أن تمثال العبادة هذا كان يقوم على خدمته صاحب «تحتمس» الذي كان كاهنه.

وإنه لمن المهم أن نعرف الطريقة التي كانت متبعة في تقديم هذا الملتمس للإله، واستعمال كلمة «يضع تحت» توحى بأن «تحتمس» قد وضع شيئاً أمام التمثال بدلاً من أنه خاطب الإله بالكلام. ومن المحتمل أنه كتب شكوى قصيرة تحوي اسم صاحبه على إستراكون، أو على قطعة بردي صغيرة كانت تقدم لهذا الإله بمناسبة وقوفه في محطة خلال الاحتفال بالعيد، ومن الجائز أن هذه كانت عادة متبعة، وأن عددًا كبيراً من هذه الشكاوى كانت تقدم له معاً في خلال ذلك (راجع عن الوحي A. S. XLII p. 239 ff; & (Ibid XXXVI p. 187).

أسرة «بيعخي»

لم نعرف حتى الآن اسم زوج «بيعخي»، ويعتقد الأستاذ «بتري» أن زوجه هي الملكة «حنت تاوي» التي نعرف آثارها الكثيرة (راجع Petrie, Hist III, 203-205). غير أن براهينه على ذلك غير مقنعة، كما يقول «جوتيه» (L. R. III, p. 242 Note 1) الذي يعتقد مثل «مسبرو» أن «حنت تاوي» كانت زوج «بينوزم الأول». ويقول: إنه من الصعب أن كاهناً أكبر لم يحمل قط الألقاب الملكية يتزوج من ملكة.

(١) وأكبر أولاد «بيعخي» هو «بينوزم» الذي تولى رئاسة الكهانة أولاً ثم عرش الملك فيما بعد.

والآثار التي تحدثنا عن نسبة «بينوزم» لأبيه كثيرة جداً نذكر منها واحداً بمعبد «الأقصر»: الأمير رئيس الأرضين، الكاهن الأول «لأمون» ملك الآلهة «بينوزم» المرحوم (راجع Daressy Rec. Trav. XIN (1892) p. 32).

(٢) «حقا-نفر»: ويلقب: ابنه الكاهن الثاني «حقا-نفر» (Daressy Ibid).

(٣) «حقا-عا»: ويلقب: ابنه الكاهن «ستم» في معبد الملك (Ibid).

(٤) «عنخف (ني) موت»: ويلقب: ابنه مدير المشية، والمدير العظيم لبيت «أمون»، وكاهن الإلهة «موت» (Ibid).

الكاهن الأكبر ببيعنخي

ولا نعرف «لبيعنخي» إلا ابنة واحدة، وهي ربة البيت، ومغنية «آمون رع» ملك الآلهة.

«فايت عات-ني موت»: وقد وجد اسمها هذا على لفائف الفرعون «رعمسيس الثالث»، كما سنرى بعد (راجع Br. A. R. IV § 641).

